جامعة الشهيد حمه لخضر –الـــوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

نقد هيمنة الكم في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي (رنيه غينون)

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية - تخصص: عقيدة

إعداد الطالبتين:
بن عمارة هناء
تواتي طليبة عائشة

المشرف:
د. زهير بن كتفي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. أحمد عامر باي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
د. زهير بن كتفي	أستاذ محاضر ب	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
د. بشير بوساحة	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1440– 1441هـ/ 2019– 2020م

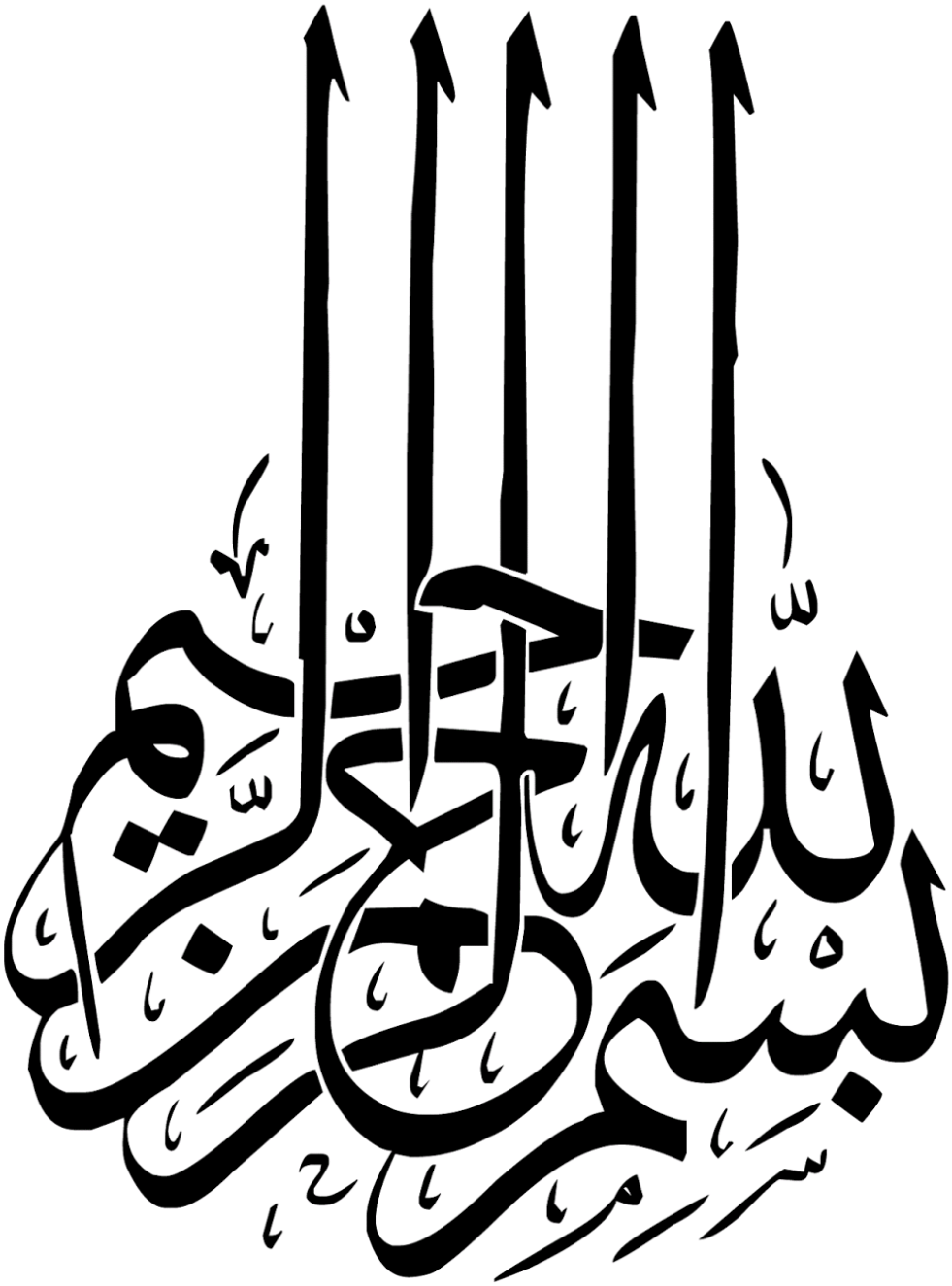
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أعز ما أملك في الوجود الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى أعز الناس إلى قلبي وسندي في الحياة زوجي العزيز و قرة عيني وفلذات

كبدي أبنائي: رحمة ، ومحمد و يحي، وعبد الرحمان، حفظهم الله.

وإلى زميلاتي في الدراسة و كل أساتذتي أهديهم تحية حب وتقدير .

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قـال في حقهما عزَّ وجلَّ :

بسم الله الرحمان الرحيم:﴿ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾

[الإسراء: 23] صدق الله العظيم.

إلـى من حملتنـــي وهنا علـــى وهـن،

إلى التي لملمت روح الحياة وأنا في أحشائها،

إلى النبع الذي من فيض الحنان سقاني،

أمي العزيزة.

إلى من هون الصعاب أمامي وكان السبب في حياتي،

إلى من تحمل أعباء الحياة حتى يراني على ما أنا عليه اليوم،

أبي الغالي.

إلى جميع إخوتي وأخواتي الأعزاء.

إلى جميع الزملاء والزميلات.

إلى كل من تشوق إلى رؤية ثمرة جهد طويل.

عائشة

شكر وعرفان

نشكر الله عز وجل ونحمده الذي أنعم علينا بنعمة العلم وأعاننا حتى أبلغنا هذه الدرجة في طلبه ،و يسر لنا هذا العمل راجين منه سبحانه أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى أسرنا الكريمة التي لم تبخل علينا بالدعم والتشجيع والدعاء. ونسجل خالص الشكر وعظيم التقدير والعرفان للأستاذ الفاضل الدكتور زهير بن كتفي الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة، و لم يبخل علينا بالنصيحة والإرشاد، فكان فعلا مثالا يحتذى به في الإخلاص والتفاني في خدمة العلم وطلابه، جعل الله ما قدمه لنا في ميزان حسناته ونفعنا بعلمه. كما لا ننسى أن نشكر أيضا الأستاذ عبد الباقي مفتاح، و كل من ساعدنا في إعدادنا لهذا البحث من قريب أو من بعيد جزاهم الله عنا كل خير.

ملخص البحث باللغة العربية:

تتناول الدراسة التي بين أيدينا موضوع نقد هيمنة الكم في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي "رنيه غينون". وقد حاولنا من خلالها إبراز دوره كعالم وباحث استطاع إماطة اللثام عن حقيقة الحضارة الغربية المعاصرة من خلال تشريحه لمرتكزاتها وأسسها التي ولّدت أزمتها الحالية. وقد وظفنا في هذه الدراسة جملة من المناهج منها: المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي والمنهج التحليلي. لنتوصل في الأخير إلى أن عبد الواحد يحي من خلال حياته الشخصية ورحلته في البحث عن الحقيقة، ومن خلال تآليفه المتميّزة وأسلوبه العلمي المتفرّد، ومن خلال تشريحه لأسس الحضارة الغربية والفكر الغربي، قد استطاع بيان "هيمنة الكم" في هذه الحضارة وكشف أوهامها وزيفها وتحيّزها وماديتها المفرطة في نظرتها إلى جميع القيم، إلى جانب قصورها العرفاني الكبير. كما أنه عمل على تسليط الضوء على أهم الحلول والبدائل التي طرحها، لإخراجها من أزمتها والحيول دون فنائها وتلاشيها. وهي حلول وبدائل بلا ريب مستمدة من الشريعة الإلهية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

Abstract:

The study in our hands deals with the subject of the criticism of quantum hegemony in Western civilization by Abdel Wahid Yahya (René Guénon). Through it, we tried to highlight his role as a scientist and researcher who was able to uncover the reality of contemporary Western civilization through his dissection of its foundations and foundations that generated its current crisis. We have employed in this study a number of approaches, including: the inductive approach, the descriptive approach, and the analytical approach. Let us finally conclude that Abdul Wahid Yahya through his personal life and his journey in search of truth, through his distinguished authorship and his unique scientific style, and through his dissection of the foundations of Western civilization and Western thought, has been able to explain the "quantum hegemony" in this civilization and reveal its illusions, falsity, bias and materialism Excessive view of all values, as well as her great secular deficiencies. He also worked to shed light on the most important solutions and alternatives that he proposed, to bring them out of its crisis and to prevent their disappearance and disappearance. They are solutions and alternatives, undoubtedly, derived from the divine law.

مقدمة

الحمد لله خالق الأنام، يأمر بالحق والعدل، ويرفع الصالحين من أهل العلم أعلى مقام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وأصحابه سادة الخلق الكرام.

وبعد:

1- التعريف بالموضوع:

في قلب الحضارة الغربية الحديثة التي أخرجت الروح نهائياً من عالم الإنسان، جاءت هذه الروح المنيرة المتمثلة في "العارف" عبد الواحد يحي "رنيه غينونRené Guénon" لتضيء قبسا من نور في عصر الظلمة والتعتيم الذي طال أوروبا المثقلة بأوزار المادة. وليعيد الاعتبار إلى الحضارة التراثية التقليدية، حضارة الروح و المقدس في زمن الأوهام والكذب و التضليل. فانبرى للتشخيص والعلاج، ولم يألُ جهدًا بعد هدمه لمرتكزات الحضارة الغربية المتمثلة في وهم التقدم، وهم العلم الحديث، وغيرها من الأوهام؛ في أن يبحث عن الحل والبديل لهذه الحضارة القابعة في أزمة روحية، من خلال إعادة الوصل بين الحضارة والتراث الأصيل الموصول بالشرائع الربّانية، التي أضاعتها الصيحات الحداثية، وهنا تكمن عبقريته وتميّزه عن الآخرين. فبهذا يعتبر عبد الواحد يحي من أبرز الباحثين الذين كان لهم الأثر البارز في الفكر الغربي، بحيث قلب نقده للحضارة الغربية الكثير من القناعات الفكرية والعقائدية للكثير من المعجبين والمشيدين بها، فجعلهم يعودون إلى الدين والشرائع الإلهية، وهذا من خلال كشفه لجذور أزمة الحضارة الغربية وإظهارها على حقيقتها المتمثلة في أوثان الحداثة واللهفة وراء التطور المادي المبتور من كل ترقي روحي، وفي متاهات العلوم المادية بدون اعتبار لأصولها العلوية، وفي أخلاقيات سطحية، بمعنى حضارة مفرغة من محتواها الروحي، وكل هذا بمنهج علمي متفرّد.

2- أهمية الموضوع:

وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال الآتي:

- راهنية هذا الموضوع في الوقت الحاضر، من منطلق أن الحضارة الغربية لا زالت هي الحضارة "النموذج" بالنسبة لشعوب العالم، وللشعوب الإسلامية؛ بما قدمته من منجزات مادية وتكنولوجية هائلة و كبيرة في هذا العصر.

– إبرازه وإعادة تقييمه بصورة إيجابية وموضوعية لمفهوم التراث الروحي والملة الأصلية التي تجد أوجها ومعناها الحقيقي في الإسلام.

– شخصية ونموذج هذه الدراسة، أي الشيخ عبد الواحد يحي؛ من منطلق حضورها في قلب الجدل الفكري والفلسفي والديني في الغرب، بما قدمته هذه الشخصية من نقد صارم لهذه الحضارة الغربية، وما طرحته من بدائل للخروج من الأزمة الحضارية الغربية، حيث تبدو إلى حد بعيد متفردة فيه.

– طغيان الحضارة الغربية على العقل العربي الإسلامي، فضلا عن العقل الغربي بفلسفاتها المختلفة والمتعددة ، المتمثلة في الحداثة الغربية، وأسسها ومرتكزاتها كالعقلانية والتجريبية والوضعية والعلمية ، مما كان له الأثر البالغ السلبي على مبادئ الإنسان الفكرية والروحية والعقدية.

3– إشكالية البحث:

حاولنا من خلال هذه الدراسة كشف الغطاء عن حياة العارف عبد الواحد يحي؛ وسبر بعض رؤاه وآرائه ومواقفه النقدية للحضارة الغربية والحلول البديلة التي قدمها، من خلال طرح الإشكالية الجوهرية التي نحاول الإجابة عنها من خلال موضوعنا هذا، والمتمثلة في: ما هو الموقف النقدي لعبد الواحد يحي من هيمنة الكم في الحضارة الغربية ؟ ويمكن أن ندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تساعدنا على الإحاطة بهذه الإشكالية وهي:

– ما هي الدوافع التي أدت بعبد الواحد يحي إلى نقد الحضارة الغربية ؟

– ما هي جوانب نقد عبد الواحد يحي للحضارة الغربية ؟

– ما هي البدائل التي اقترحها عبد الواحد يحي لإعادة الحضارة الغربية إلى المسار السوي كما يراه؟

4– أهداف الموضوع:

– تسليط الضوء على حقيقة الحضارة الغربية في أسسها المادية والتي وقع في حبالها الكثير من المفكرين والشباب المسلم الذين روجوا لها.

– التعريف بجهود الشيخ عبد الواحد يحي واجتهاداته باعتباره من أبرز من نقدوا الحضارة الغربية، ومحاولة الاستفادة من خبرته في معرفة حقيقة هذه الحضارة.

5– أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعتنا جملة من الأسباب منها ما هو موضوعي ومنها ما هو ذاتي إلى اختيار هذا الموضوع.

أ– الأسباب الموضوعية:

– مكانة عبد الواحد يحي في مجال الدراسات التراثية والفلسفية العالمية وتأثيره على الكثير من الباحثين الغربيين وبعض الباحثين المسلمين.

– يعتبر من أكثر الباحثين الذين لم يلتزموا في مقارنتهم للأديان والعقائد بالجانب الشكلي الصوري الظاهري بل تعمق وغاص في جوانية هذه العقائد.

– يبدو أن عبد الواحد يحي، لا زال يمكث على هامش اهتمامات الفكر الإسلامي، سواء ما تعلق منه بدراسات الفكر العقدي أو الفكر الحضاري عموما أو تلك التي تحاول نقد الحضارة الغربية، أو الدراسات المتخصصة في الأديان والأديان المقارنة، رغم الترجمات الجيدة لمؤلفاته إلى اللغة العربية التي قام بها الباحث الجزائري الأستاذ عبد الباقي مفتاح في السنوات الأخيرة. ويزعم هذا البحث أنه جاء ليساهم في راهنية أطاريح عبد الواحد يحي في الواقع الفكري العربي الإسلامي.

ب– الأسباب الذاتية :

– تعلقنا بهذه الشخصية في شتى جوانبها، ومحاولة التعرف عليها أكثر بمدارسة مؤلفاتها وأعمالها، خاصة ما تعلق منه بنقد الحضارة الغربية.

– الاستفادة من خبرة الشيخ عبد الواحد يحي في مجال نقده الفلسفات الغربية.

6- الدراسات السابقة:

مع علو كعب هذا العلامة، لم نجد عنه الكثير من الدراسات السابقة باللغة العربية، ومن أهم ما وجدناه الآتي:

- دراسة الباحث عطية بن عطية بعنوان: "التيار الروحي وأزمة العالم الحديث-روني غينون نموذجا- دراسة تحليلية" تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم، رسالة ماجستير في الفلسفة، تخصص فلسفة حديثة، جامعة الجزائر كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة2010/2009.مع العلم أننا لم نطلع على هذه الدراسة، لعدم تمكننا من الحصول عليها.

- ودراسة الباحث عبد الباقي بوخزنة الموسومة بـ"الشيخ عبد الواحد يحي وجهوده في خدمة التصوف الإسلامي"، إشراف: الدكتور معمر قول، مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلّبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية - تخصّص: العقيدة، جامعة الشّهيد حمّه لخضر – الوادي، قسم أصول الدين2018/2017. وقد تطرقت هذه الدراسة إلى الجانب الروحي الصوفي في فكر عبد الواحد يحي وحددت معالمه.

- ودراسة الباحثة مريم عليا محمد التريكي المعنونة بـ"الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه"، إشراف: الأستاذ الدكتور كوكب محمد مصطفى عامر، رسالة دكتوراه في الآداب، تخصص فلسفة، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم الفلسفة، 1438هـ-2018. وقد استفاضت الدراسة، في تناول جانب كبير من حياته وظروف نشأته وتجربته الروحية العرفانية. وقد استفدنا منها في بعض من جزئيات حياة ونشأة العارف بالله عبد الواحد يحي.

- وأما الذي يميّز دراستنا عن الباقي، فهو عرضنا واستقرائنا لموقف وأقوال عبد الواحد يحي حيال الهيمنة المادية للحضارة الغربية.

7- منهج الدراسة:

أما فيما يخص منهج البحث فقد اعتمدنا على المنهج الاستقرائي، وذلك بمحاولة تتبع وتقصي نصوص عبد الواحد يحي من خلال مؤلفاته وأعماله عموما فيما يخص موضوع بحثنا. كما اعتمدنا أيضا على المنهج الوصفي والتحليلي، أما الوصفي فقد وظفناه في ضبط المصطلحات الأولية والمفاهيم في إطار التعريف بها، والتحليلي تجلى من خلال محاولة رصد آراء ومواقف عبد الواحد يحي وشرحها وتحليلها في مجال نقده لهيمنة الكم في الحضارة الغربية.

8- صعوبات البحث:

وقد واجهتنا في إعداد هذا البحث بعض الصعوبات منها:

- صعوبة أسلوب عبد الواحد يحي المتخصص بلغته الأصلية، أي الفرنسية، إضافة إلى اللغة العربية المترجم إليها، وخاصة في أهم مصدر من مصادر بحثنا وهو عمله الأساسي الموسوم بـ"هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان".
- تخصص الكثير من المصطلحات والمفاهيم التي يؤسس من خلالها الشيخ عبد الواحد يحي لكتابته وتوسعها بين مختلف التراثيات الدينية المختلفة، مما يحتم على الدارس معرفة مسبقة بالكثير منها من أجل الدخول إلى عالم كتابته.

9- خطة البحث:

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. في المقدمة عرفنا بالموضوع وذكرنا أهميته وأهدافه والدراسات السابقة فيه وصعوباته ومنهج الدراسة، إضافة إلى خطة عامة عرضنا فيها أهم فواصل البحث.

وفي المبحث الأول: تطرقنا إلى الحضارة الغربية في رؤية عبد الواحد يحيى. وقد قسمناه إلى ثلاثة مطالب: تناولنا في المطلب الأول: مفهوم الحضارة لدى عبد الواحد يحي وغيره من المفكرين. وفي المطلب الثاني عرضنا لترجمة موجزة لمسيرة الرجل و أعماله. وأما المطلب الثالث فتطرقنا إلى مفهوم "الكم" في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى.

وفي المبحث الثاني: تناولنا وهم عالمية الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي. وقد قسمناه إلى ثلاثة مطالب أيضا: عرضنا في المطلب الأول: تحيز الحضارة الغربية وأحكامها المسبقة. وفي المطلب الثاني: أحادية الحضارة الغربية. وأما المطلب الثالث فتطرقنا إلى النزعة العلموية المادية والقصور العرفاني للحضارة الغربية.

وفي المبحث الثالث: عرضنا فيه رؤية عبد الواحد يحي إلى هيمنة المنظور المادي-الكمي في الحضارة الغربية. وقد ضمنّاه ثلاثة مطالب: تناولنا في المطلب الأول: نقد عبد الواحد يحي لأيقونة الحضارة الغربية: "العلم المادي". و في المطلب الثاني: نقده الفلسفة الغربية. وأما المطلب الثالث: فتناولنا مظاهر هيمنة الكم في الحضارة الغربية.

وأما المبحث الرابع فعرضنا فيه الحلول والبدائل التي قدمها عبد الواحد يحي لخروج الحضارة الغربية من أزمتها الراهنة، تحت عنوان: إعادة إحياء التراث الروحي في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى، وقد ضمنّاه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: بعنوان إصلاح التراتبية الوجودية للحضارة الغربية. والمطلب الثاني: فتطرقنا فيه إلى إعادة التواصل بين الشرق والغرب والاستفادة من التراث الروحاني الشرقي. وأما المطلب الثالث: إعادة بعث الصفوة الروحانية في الحضارة الغربية.

وأما الخاتمة فقد حاولنا فيها الإجابة عن إشكالية البحث، ورصد أهم النتائج المستخلصة منه.

وبالله التوفيق والسداد.

المبحث الأول

عبد الواحد يحيى والحضارة الغربية

المطلب الأول: مفهوم الحضارة.

المطلب الثاني: عبد الواحد يحيى ترجمة موجزة.

المطلب الثالث: مفهوم "الكم" في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى.

عبد الواحد يحيى والحضارة الغربية

سنحاول في هذا المبحث، إن شاء الله تعالى، أن نبيّن جملة من الآراء التي تتعلق بمفهوم الحضارة الغربية عموما، وبمفهوم الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي خاصة. إضافة إلى محاولة تبيان موجز عن حياته وحكايته مع الإسلام، باعتبار أنهما يبرزان لنا مفهومه لهذه الحضارة. ولذلك فقد جعلنا هذا المبحث في ثلاثة مطالب أساسية: حيث يمكننا التعرف، من خلال المطلب الأول، و لو بصورة مقتضبة على مفاهيم الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي وعند غيره من المفكرين. ومن خلال المطلب الثاني على مسيرة حياة عبد الواحد يحي و أعماله وجهوده الفكرية. ومن خلال المطلب الثالث، سنتطرق إلى ما نقصده من مصطلح "الكم" في علاقته تحديدا بالحضارة الغربية. ولا يخفى ما لهذا المسلك من أهمية في محاولة قراءة مفهوم الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي؛ من منطلق أنه يبرز لنا المحددات الأساسية التي جعلت عبد الواحد يحي يتوجه تلك الوجهة في نقده للحضارة الغربية.

المطلب الأول: مفهوم الحضارة

لقد تعددت آراء المؤرخين والمفكرين حول إعطاء مفهوم محدد للحضارة ومعناها باعتبارها مصطلح متشعّب ومتعدد التعريفات، ؛ لذا كان لزاما علينا أن نعرض آراء بعض المؤرخين حول تعريفهم للحضارة سواء كانوا غربيين أو مسلمين، مع التطرق طبعا إلى رأي عبد الواحد يحي.

الفرع الأول: تعريف الحضارة لغةً:

ورد في القاموس المحيط: الحضارة من حضر، حضورا، وحضارة: ضدُّ غاب، و"الحضارة: هي الإقامة في الحضر"[1].

أما في لسان العرب "الحضر والحاضرة"، هي خلاف البادية، وهي المدن والقرى، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار، التي كان لهم بها قرار[2].

واستعمل لفظ الحضارة بمعنى التطور، والتقدم في كل الميادين، فالحضارة ليست منجزات مادية أو علمية أو كتل بشرية مكدسة في المدن دون ترابط داخلي، وإنما هي روح سام من

[1]– الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحق: محمد نعيم العرسوقي، ط 8، دمشق، مؤسسة الرسالة، 2005م، ص376.

[2]– ابن منظور، لسان العرب ، ط 3، بيروت، دار صادر 1414 هـ ،ج4، ص148.

الفضائل والخصال الطيبة، التي تزين وتقوم سلوكيات أبناء الأمة، وسائر نشاطاتهم، كما تتجسد في النظم السياسية، والاجتماعية، والثقافية ، والاقتصادية، حتى تشمل جميع جوانب الحياة[1]. ومن هنا يأتي المفهوم الاصطلاحي للحضارة.

الفرع الثاني: تعريف الحضارة اصطلاحا

معاني الحضارة في الاصطلاح عديدة، وسنورد بعض آراء المفكرين الغرب والعرب في تصوراتهم لمفهوم الحضارة.

أ-الحضارة في الاصطلاح الغربي:

* **تعريف ول ديورانت:**"الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة هي: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية ومتابعة العلوم والفنون"[2].

* **تعريف أوزفالد شبنغلر**[3]:"الحضارة هي كل متكامل غير قابل للتجزئة وظاهرة أولية متفردة روحية لجماعة من الناس لها تصور واحد عن العالم وتتبلور وحدة تصورهم في مظاهر حضارية من فن ودين وفلسفة وسياسة وعلم".[4]

وما يمكن استخلاصه من هذين التعريفين هو المزج الواضح بين مصطلحي "الحضارة" و"الثقافة" مع أن لكل منهما مفهوم خاص به؛ ففي الحضارة الغربية ينظر للثقافة من منظور مادي.

ب-الحضارة في الاصطلاح الإسلامي العربي:

* **تعريف ابن خلدون:** "الحضارة أحوال زائدة عن الضروري من أحوال العمران"، أو بمعنى آخر:"الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ

[1]- فتيحة معط الله، الأبعاد الحضارية في فكر عبد الحميد بن باديس الإصلاحي، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان،الجزائر،2011م-2012م،ص7.

[2]- ول و إيريل ديورانت، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، (د.ط) ، بيروت، دار الجيل،1982 ،ج1، ص4.

[3]- أوزفالد شبنغلر (29 ماي 1880-8 ماي1936)، مؤرخ وفيلسوف ألماني، أشهر مؤلفاته كتاب: "تدهور الحضارة الغربية".ينظر:أوزفالد شبنغلر،تدهور الحضارة الغربية،تر: أحمد الشيباني، (د.ط)،بيروت، دار مكتبة الحياة،(د.ت) ،ج1،ص9.

[4]- أوزفالد شبنغلر، تدهور الحضارة الغربية، تر: أحمد الشيباني،(د.ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة،(د.ت)،ج1، ص7.

والملابس والمباني والفرش، وسائر عوائده وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه".[1]

* **تعريف مالك بن نبي:** "إن الحضارة هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطواره، منذ الطفولة حتى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"[2]. وقد قال أيضا في كتابه مشكلة الأفكار: "أن الحضارة هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ. ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته"[3].

وأضاف أيضا أن "الحضارة هي جملة العوامل المادية والمعنوية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره"[4].

وبناء على التعريفين، يمكن أن نستخلص أن الحضارة عند ابن خلدون هي "رفاهية العيش"، ولذلك فهي تظهر في المدن والأمصار والبلدان أي في الحضر. أما عند مالك بن نبي فهي شروط مادية وروحية ولها أطوار متعددة تمر بها.

الفرع الثالث: الحضارة الغربية في مفهوم عبد الواحد يحي

سنتطرق في هذا الفرع إلى تعريف الحضارة عند عبد الواحد يحي وتحديدا تعريفه للحضارة الغربية.

أ- مفهوم الحضارة عند عبد الواحد يحي

إنّ الحضارة عند عبد الواحد يحي هي الحضارة التي تجمع ين الجانبين المادي والروحي للإنسان والحياة؛ بمعنى آخر هي كل إنتاج وإرث مادي وروحي للشعوب. ولهذا كان عبد الواحد يحي معترضاً وقلقاً على وضع ومآل الحضارة الغربية ، فلم يبال بأن وصفها بـ"الشذوذ"، وبأنها لا تشغل في التاريخ مكاناً مميزاً ، حيث يقول في كتابه شرق وغرب: "في مسار التاريخ، تظهر

---

[1]- ابن خلدون ، المقدمة، ط1، دمشق، دار البلخي، 2004 م، ص 43.

[2]- مالك بن نبي، آفاق جزائرية، ط2، (د.ن)، مكتبة عمار1981م، ص38.

[3]- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركه و أحمد شعبو، ط1، (د.ن)، دار الفكر المعاصر1988م، ص41.

[4]- المرجع نفسه، ص42.

الحضارة الغربية الحديثة كشذوذ حقيقي، فهي الوحيدة من بين كل الحضارات المعروفة التي تطورت في اتجاه مادي بحت، وهذا التطور الشاذ، الذي تطابقت بدايته مع ما اتفق على تسميته بعصر النهضة، صاحبه ما كان حتمي الوقوع، وهو ارتداد في الميدان العرفاني، متناسب مع ذلك التطور غير مكافئ له، لأنهما مجالين متباينين"[1].

المطلب الثاني: عبد الواحد يحي ترجمة موجزة

يُعد العلامة "الميتافيزيقي" الفرنسي "**رنيه غينون**"René Guénon، أو العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحيى كما كان يسميه الإمام عبد الحليم محمود رحمهما الله، والذي دوى اسمه في أوربا قاطبة خاصة في القرن العشرين. ولعل الاسم الذي اختاره لنفسه بعد اعتناقه الإسلام يلخص كل حياته؛ فلم يكن انتقاله من المسيحية إلى الإسلام بعد أن درس الماسونية وفلسفات الشرق القديم من قبيل التذبذب وعدم الاستقرار أو حبا في التغيير، وإنما بحثا عن الحقيقة المفقودة، تلك الحقيقة التي كانت تربط الإنسان قديما بالكون الواسع في توازن حكيم ثم انقطع خيطها في ضغط هذا العصر الغارق في الماديات.

الفرع الأول: مولده واسمه

في زخم الحضارة الغربية، في قلب أوربا ولد الشيخ عبد الواحد يحي في بلدة بلوا[2]"Blois" الفرنسية في 15نوفمبر 1886 م من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة كانت تعيش في يسر ورخاء. فقد كان والده مهندساً ذا شأن. وحياته لا تتسم بحوادث معينة، فقد كان هادئا ووديعاً. وكانت تلوح عليه منذ الطفولة مخايل الذكاء[3].

أما عن اسمه فقد ورد في : شهادة الميلاد "Guénon René-Jean- Marie- Joseph "؛ وهي مؤرخة في 15تشرين الثاني من العام 1886 للميلاد في مدينة، Blois من إقليم "Loire"الفرنسي. واسمه في شهادة الوفاة "عبد الواحد يحيى"؛ وهي مؤرخة في 8كانون الثاني من

[1]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، تر: عبد الباقي مفتاح ، ط1، إربد الأردن، عالم الكتب الحديث، 2016م، ص55.

[2]– هي بلدة فرنسية على نهر اللوار، على بعد 172كم من باريس، وهي شهيرة بصناعة البسكويت والشكولاتة ، ينظر عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ط03، القاهرة، دار المعارف، (د.ت) ،ص288.

[3]– عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ط03، القاهرة، دار المعارف، (د.ت)، ص288.

العام 1951 في مدينة القاهرة. هكذا كان قَدُره: أن يولد مسيحيا كاثوليكيًا، وأن يموت مسلماً؛ أن يولد في فرنسا، وأن يموت ويُدفَن في مصر[1].

الفرع الثاني: نشأته

بدأ تعليمه في إقليمه الذي نشأ فيه، وفي سنة 1904م نال شهادة البكالوريا، بعد أن نال جوائز عدة كانت تمنح للمتفوقين، ومكث عامين في الدراسات الجامعية لتحضير شهادة الليسانس في باريس، ولكن باريس لم تدعه يستمر في دراسته المدرسية المحدودة وفتحت له آفاقا واسعة كلها لذة ونعيم، فقد كانت تمنح اللذة الروحية والنعيم الوجداني لمن لم يغرهم زخرف الدنيا وزينتها[2].

مع بدايات القرن العشرين كانت مرحلة الفلسفات الكبرى في الغرب، والتي كانت قد بدأت منذ عصر النهضة مع ديكارت، قد انتهت و بدأت مرحلة جديدة افتتحها الإنجليزي جورج مور[3] بفلسفته التحليلية نحو تفكيك ما قد تراكم من إرث فكري ، دون أن تقدم هذه التجربة أي شيء من يقين أو طمأنينة فكرية. و قد أدى هذا الحال بالكثيرين للبحث عن اليقين في مصادر أخرى. كانت مجموعة من الجمعيات السرية التي تدعي امتلاكها لحقائق ميتافيزيقية ولطرائق المعرفة الكشفية [4].

في هذه الأجواء التي خيمت على مدينة باريس في بداية القرن، هذه المدينة التي كانت مركزاً للعديد من هذه الجمعيات التيوصوفية و غيرها ، وجد عبد الواحد يحي نفسه فراح يتعرف على هذه الجمعيات واحدة تلو الأخرى، و استطاع أن ينسج علاقات شخصية مع ممثلي هذه الجمعيات جميعاً ، لكنه سرعان ما أدرك زيف ادعاءاتها فصار يهاجمها علناً و يفند كل الادعاءات السخيفة و الخيالية التي تطلقها دون أي أساس من الصحة ، هذه الانتقادات التي ضمنها بعد

---

[1]- نهادخياطة:"رينيه غينون والبحث عن المنقول الحقيقي" ، 2006http://www.maaber.org/issue_february06/spiritual_traditions2.htm،تاريخ الاطلاع : 2020/02/22 .

[2]- عبد الواحد يحي ،شرق وغرب،ص5.

[3]- جورج إدوارد مور (1873-1958م)، فيلسوف إنجليزي، يعدُّ من مؤسسي المدرسة الواقعية الجديدة. ينظر: عبد الواحد قيراط، "المدرسة التحليلية جورج ادوارد"، مدارس فلسفية غربية،ج2،نشرت بتاريخ:2011/10/11 على الساعة:13:02 الموقع الإلكتروني:https://www.alhiwar.net ،تاريخ الاطلاع: 2020/02/22 .

[4]- محمد عادل شريح : "رينيه غينون والتقليدية التكاملية" ،http://almultaka.org/site.php?id=362تاريخ النشر:2005/04/25،تاريخ الاطلاع: 2020/02/22 .

ذلك في كتابيه القيّمين "التيوصوفيا، تاريخ إحدى الديانات المزيفة" وكتاب "أوهام الروحانيين". وبعد عدة توجهات في رحلة بحثه عن الحقيقة، ركز اهتمامه بالشرق ، هذه المحطة الأخيرة التي حددت المعتقدات والآراء النهائية له.

وقد لعبت شخصيات ثلاث أدواراً أساسية ومهمة في هذا التوجه، و هي: "ليون شامبرييرنو"، وهو مثقف فرنسي اعتنق الإسلام وسمى نفسه "عبد الحق". "الغراف ألبير بيويو" ، و هو فرنسي كان قد اعتنق العقيدة الطاوية (عقيدة صينية قديمة جمعها لاو تسي في كتاب "الطاو"). و له علاقات وطيدة مع ممثلي هذه العقيدة في الصين، وقد صار يعرف هناك باسم "ميتغييوي" أي "عين النهار". إضافة إلى الفنان السويدي ،"إيون غوستاف آغيلى"، المسلم المتصوف الذي أخذ التصوف على يد شيخ الشاذلية المعروف عبد الرحمن عليش[1]، و صار يعرف باسم "عبد الهادي"[2].

الفرع الثالث: إسلامه

من خلال تتبع مسيرة عبد الواحد يحي، يظهر أنه كان شديد الاهتمام بالتنظيمات والأفكار الروحية، طلبا للحقيقة والخلاص التي فقدها في المسيحية ، وبتعرّفه على الشرق وعقائده من خلال الشخصيات التي تم ذكرها ، و التي كان لها دوراً هاماً في القرار الأكثر حسماً في حياته.

ففي عام 1912 أسلم "غينون" وسلك طريق التصوف على يد عبد الهادي "إيون غوستاف آغيلي" ليصبح معروفا بعد ذلك في عالم التصوف الإسلامي الشاذلي تحت اسم "عبد الواحد يحي".[3] ويحكي لنا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود سبب إسلام "رينيه غينون" في كتابه "أوربا والإسلام"، فيقول: "كان سبب إسلامه بسيطًا ومنطقيًّا في آنٍ واحدٍ، لقد أراد أن يعتصمَ بنصٍّ مقدسٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد بعد دراسته العميقة سوى القرآن؛ فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينله التحريف ولا التبديل؛ لأن الله تكفل بحفظه،

[1]- عبد الرحمن عليش: ابن الشيخ المغربي الأصل محمد عليش(1217هـ-1299هـ)، إمام المذهب المالكي بالأزهر الشريف، وقد درس في الأزهر وتقلد مشيخة السادة المالكية والإفتاء بالديار المصرية سنة 1270هـ، والشيخ من تلاميذ الأمير عبد القادر. ينظر عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسةالشاذلية،ط03، القاهرة، دار المعارف، (د.ت) ،ص291.

[2]- محمد عادل شريح : "رينيه غينون والتقليدية التكاملية، ص2.

[3]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وحفظه حقيقة: ﴿ **إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذّكر وإِنَّا لَهُ لَحافِظُون** ﴾[الحجر: 09]، لم يجد سوى القرآن نصا مقدسا صحيحًا،، فاعتصم به وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفساني في رحاب الفرقان"[1].

الفرع الرابع: تجربته الروحية وتصوفه

والواقع هو أنّ الذي وجّه "جينو" هذه الوجهة، أي تصوفه، هو الشيخ عليش. والشيخ عليش إنّما كان مرآة تعكس صورة الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، وهو أسمى مظهر للتصوف الإسلامي والعقيدة الإسلاميّة. وإذا كان الشيخ عليش مالكيّاً محافظًا، فإنّ تصوفه لا يخرج عن التعاليم الإسلاميّة. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة له، فإنّه كذلك أيضًا بالنسبة لتلميذه جينو[2].فقد كان شيخه إذًا، يجمع بين صفتين، هما: الحقيقة والشريعة؛ كان شيخ طريقة، وشيخ مذهب. فلقد كتب جينو في أحد خطاباته يقول: "كان الشيخ عليش شيخ فرع من الطريقة الشاذليّة، و كان في الوقت نفسه شيخ المذهب المالكي بالأزهر". وهذا له أهمّية بالنسبة لتلميذه، فيما يتعلق بتقديرنا لآرائه من الناحية الإسلاميّة.[3]ومما ينبغي ملاحظته في عناية، أن هذا الشيخ هو الذي يدين له "جينو" بالفكرة الأولى لكتابه: "رمزيّة الصليب "،وهو الشخص الذي أهدى إليه جينو هذه العبارة :"إلى الذكرى الموقرة، ذكرى الشيخ عبدالرحمن عليش الكبير، المالكي، المغربي، الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب. مصر- القاهرة 1329- 1349هـ".وهكذا كان هذا الشيخ يفتح السبل أمام جينو، ويهديه الطريق، وحمل جينو راية الجهاد من بعده، فاستمر يبني على ما أسّسته "الأكبريّة"؛ تلك الجماعة التي تنتهج نهج الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي[4].

وبغض النظر عن من يقول بأن التصوف مضافا إلى الدين الإسلامي، أو هو جزء جوهري من الدين، فالشيخ عبد الواحد يحي يؤكد جوهرية التصوف والتربية الروحية بالنسبة للدين الإسلامي قائلا :"إذ أن الدين بدونه يكون غير مكتمل كما هو واضح ، بل يكون حينئذ ناقصا من جهته العليا، أعني جهة مبدئه الأساسي، لذلك كانت افتراضات غير مبررة، تلك التي تزعم أن أصل التصوف أجنبي عن الإسلام، و هو يوناني أو فارسي أو هندي، ومما يفندها بوضوح كون

[1]- عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ط04 ، القاهرة، دار المعارف،(د.ت)،ص72 .

[2]- عبد الباقي مفتاح، شاهد الحقيقة، رينيه جينو، عبر نصوص إسلامية ،ط 1 ، الجزائر، المكتبة الفلسفية الصوفية 1441هـ -2019م، ص41.

[3]- المرجع نفسه، ص36.

[4]- المرجع نفسه، ص 40.

وسائل التعبير الخاصة بالتصوف الإسلامي، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتركيب نفسه للغة العربية"[1]. فهو يعرف التصوف قائلا: "والتصوف الإسلامي، مثل أي علم حقيقي، هو تربية روحية عرفانية ولا يمكن أن يكون غير هذا"[2].

ونختم هذا الفرع بكلام الشيخ عبد الواحد يحي الذي يقول : "وعلى كل حال، ففيصل الحق الحاسم في هذه المسألة بالنسبة لأي أحد لا ينظر إليها مجرد نظرة خارجية هو أن التراث الإسلامي الثابت يدل بجلاء على أن علم الباطن، مثله مثل علم الظاهر أي الحقيقة والشريعة ينبعان مباشرة من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم. و في الواقع ما من طريقة أصيلة وصحيحة إلا وهي تعتمد على سلسلة متواصلة للتربية الروحية تصعد دائما في نهايتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة حلقات متواصلة من الشيوخ عددهم يزيد أو ينقص"[3].

الفرع الخامس :وفاتـــــــه

في منتصف يناير عام 1950م لزم الشيخ "عبد الواحد يحيى" الفراش بسبب آلام الروماتيزم حتى تقرح فخذه الأيمن، وفي منتصف الليل يوم الإثنين لـ7 يناير عام 1951م، في الساعة الحادية عشر مساء، توفي الشيخ "عبد الواحد يحيى" عن عمر يناهز الرابعة والستين في مسكنه بالدقي (مصر) محاطا بزوجته وأولاده الثلاثة وجنين لا يزال في طور التكوين، لم ير النور إلا بعد وفاة والده بأربعة أشهر[4].

وقد خلّف الشيخ عبد الواحد يحي صدى كبيراً في الأوساط الأوربية، ينقل عبد الباقي مفتاح عن هذا الأمر ما مفاده: "وفي9 يناير وصلت إلى باريس برقية تعلن وفاة رينيه جينو الفيلسوف والمستشرق الفرنسي، وما إن وصلت هذه البرقية حتى أخذت الصحف المجلات تنشر مختلف المقالات عن الشيخ تحت عناوين مختلفة منها "حكيم كان يعيش في ظل الأهرامات"، و"فيلسوف القاهرة"، و"أكبر الروحانيين في العصر الحديث". ووصفوه بـ:"البوصلة المعصومة"،

---

[1]– عبد الواحد يحي ، التصوف الإسلامي المقارن ، تر : عبد الباقي مفتاح ، ط1، إربد الأردن ، عالم الكتب الحديث ، 2013م،ص23.

[2]– المصدر نفسه، ص21.

[3]–المصدر نفسه، ص22.

[4]– مريم علي إمحمد التريكي، الشيخ عبد الواحد يحيى وتصوفه ،رسالة دكتوراه في الآداب، تخصص فلسفة ،جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية ،قسم الفلسفة، 1438هـ-2018،ص9.

و"الدرع الحصين"، ثم خصصت له مجلة "دراسات تراثية" عددا ضخما كتب فيه الكثيرون من كتاب فرنسا مقالات شتى"[1].

الفرع السادس : مؤلفاتـــــــه

ترك الشيخ عبد الواحد يحي خلفه إرثا ثقافيا ضخما، يحوي العديد من الكتب والمؤلفات وعددا هائلا من المقالات والتعليقات والرسائل، الكثير منها لا يزال مخطوطا،وترجم أكثرها إلى العديد من اللغات، أما إلى اللغة العربية فقد اهتم بترجمتها في السنوات الأخيرة الباحث الجزائري عبد الباقي مفتاح.

وتتمثل مؤلفاته تحديدا في27 كتابا باللغة الفرنسية ،أما فيما يخص التعليقات والمقالات والرسائل، فهي تعليقاته على كتب صدرت خلال حياته أو على مقالات وبحوث نشرت في المجلات، وقد جُمِعَ كثير منها في كتب نشرت بعد وفاته. وأما رسائله فقد كان يتحاور مع المثقفين والباحثين في ميادين التراث الديني والعرفاني، والمفاهيم الصوفية، والتربية الروحية والاتجاهات الفكرية المعاصرة ،وهي في أغلبها أجوبة على تساؤلاتهم وتقويم لمعلوماتهم وتصحيح لمفاهيمهم[2].

وأما أهم محاور مواضيع كتب "الشيخ عبد الواحد" فقد قسمها الأستاذ عبد الباقي مفتاح إلى ستة أقسام، حيث تتوزع حولها مختلف كتبه كالآتي:

أ- محور العرفان الإلهي الميتافيزيقي : ويضمّ

1- رمزية الصليب (1931م).

2- مراتب الوجود المتعددة (1931م).

3- الميتافيزيقا الشرقية (1939م).

4- مبادئ حساب المقادير اللامتناهية في الصغر (1946م).

5- رموز العلم المقدس: ويعتبر من أهم وأنفس المراجع في علم مقارنة الأديان والتراثيات الروحية من خلال الفحص العميق لرموزها المشتركة[3].

---

[1]- عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ص 299. و عبد الباقي مفتاح، شاهد الحقيقة، رينيه جينو، عبر نصوص إسلامية، ط1 ، الجزائر، المكتبة الفلسفية الصوفية1441 هـ -2019م، ص ص45-46.

[2]- أنظر: مقدمة المترجم عبد الباقي مفتاح في: عبد الواحد يحي ، شرق وغرب، ص18.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 19-23.

ب–محور السلوك الروحي والتحقق العرفاني: ويضمّ

1- نظرات في التربية الروحية (1946م).

2- التربية والتحقق الروحي :تصحيح المفاهيم (1952م).

ج– محور الدراسات الدينية والتراثية: ويضمّ

1- مدخل عام إلى دراسة العقائد الهندوسية (1921م).

2- الإنسان وصيرورته وفق تعاليم الفيدنتا (1925م).

3- الثلاثية الكبرى (1946م).

4- نظرات على علم الباطن المسيحي (1954م).

5-دراسات حول الهندوسية (1968م).

6-لمحات حول التصوف الإسلامي وعلم الباطن في الملة الصينية "الطاوية" (1973م).[1]

د– محور دراسات حول شخصيات ومذاهب ومفاهيم تراثية: ويضمّ

1- باطنية دانتي (1925م).

2- مليك العالم (1927م).

3- القديس برنارد (1929م).

4- دراسات حول الماسونية الحرة وتنظيم الرفقة (1964م).

5- أنماط تراثية وأدوار كونية (1970م).

6- مجموعة منتخبات (1978م).[2]

هـ–محور الدراسات الحضارية والنقد التشريحي للحضارة المعاصرة: وهو المحور الأخير، الذي يضمّ أربعة كتب والتي هي محور دراستنا.

1-**شرق وغرب(1924م)**: يتألف هذا الكتاب من مقدمة وقسمين: القسم الأول في أربعة فصول تحت عنوان: الأوهام الغربية، والقسم الثاني في أربعة فصول أيضا تحت عنوان: إمكانية التقارب بين الغرب والشرق، وأخيرا خاتمة ملخصة. وقد سعى الشيخ في هذا الكتاب إلى إبادة أوثان الحضارة الغربية، وإلى الإشادة بأصالة وسموّ الشرائع الإلهية والمبادئ العرفانية الشرقية.

[1]- المرجع السابق، ص ص24-29.

[2]- المرجع السابق، ص ص 30-33.

وتتمثل أوثان الحداثة في اللهفة وراء التطور المادّي المبتور عن كل ترقّ روحي، وفي تأليه الفكر المقطوع عن الوحي الربّاني، وفي متاهات التكديس والتكاثر للتقنيات والعلوم المادّية دون اعتبار لأصولها العلوية، كلّ ذلك في إطار حضارة في منتهى الهشاشة، تحدق بها الأخطار التي تنشؤها بنفسها كلّما ازداد تطوّرها. ولا نجاة من الغرب من دوّامة الخواء الرّوحي إلاّ بالاقتراب من التعاليم الرّبانية التي لا تزال حيّة في الشرق[1]. فهو من الكتب الخالدة، التي تجعل كل شرقي يفخر بشرقيته. وقد ردّ عبد الواحد يحي فيه إلى الشرق اعتباره، مبيّنا أصالته في الحضارة، وسموّه في التفكير، وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده[2].

2-**أزمة العالم الحديث (1927م)**:ألَّف عبد الواحد يحي هذا الكتاب عقب تأليفه لكتاب "شرق وغرب"، فهما متكاملان وفيه يشرح سجن الحضارة المعاصرة لأهلها في المادية القاتلة والشخصانية الوهمية، والفردية المغرورة لأن أصولها بترت عن الحقيقة الثابتة المسقية بمياه التعاليم الربانية وشرائع دين الله تعالى، فقد قام بتحليل مميزّات العصر الحديث تحليلا متميزا بالدقة والتناسق والموضوعية الصارمة، بيَّن من خلاله إلى أي مدى وصل إليه انحراف هذه الحضارة وتعارضها مع جلّ الحضارات[3].

3-**السلطة الروحية والحكم الزمني (1929م)**:يتألف هذا الكتاب من مقدمة و9 فصول(118 صفحة)، بعدما ركَّز عبد الواحد يحي على الميزة الأساسية للسلطة الروحية في علو مرتبتها وضرورة احترام سلم القيم والتدرج في المراتب لدى كلِّ مجتمع محافظ على الدين، عمد إلى عرض ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات التي تضبط وظيفة علماء الدين بوظيفة رجال الحكم، فطبيعة هذه الارتباطات هي التي تميز موقع المجتمع من القداسة والثبات في الأصالة الحافظة لكلِّ مجتمع من التفكك والتدهور.

4- **هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان(1945م)**:يتألف هذا الكتاب الجليل من مقدمة وأربعين فصلا، وهو من أبرز مؤلفات عبد الواحد يحي وأشدها إثارة، وقد كان له بالغ الأثر في فكر أجيال

[1]- أنظر: مقدمة المترجم عبد الباقي مفتاح في: عبد الواحد يحي ،أزمة العالم الحديث، تر: عبد الباقي مفتاح، ط1، إربد-الأردن، عالم الكتب الحديث،2017م، ص1.

[2] - عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ص 301.

[3]- عبد الواحد يحي ، شرق وغرب، ص 34.

من العلماء والمثقفين سواء في الشرق أو الغرب، وقد شرح فيه الأسس الخاطئة والاتجاهات "الدجّالية" للحضارة الغربية المعاصرة ، ومراحل تطورها في الماضي والحاضر والمستقبل إلى آخر الزمان، ويبيِّن بصرامة تناقضها مع المبادئ الإلهية ومعطيات المعرفة الميتافيزيقية اليقينية[1].

وتعتبر هذه الكتب لما لها من الأهمية بأن قلبت قناعات وعقائد الكثير من المطالعين لها، فجعلتهم يعودون إلى الدين والشرائع الإلهية، لما فيها من تشريح بمنتهى الدقّة والعمق لأسس الحضارة الغربية المعاصرة، وفيها بيان لبطلان كل النظريات المناقضة للشرائع السماوية، وتحطيم لجميع أوثان الحداثة[2].

المطلب الثالث: مفهوم "الكمّ" في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى

نستخلص إذن من المطلب الأول، أنّ الحضارة عند عبد الواحد يحي هي الحضارة التي تجمع بين الجانبين المادي والروحي للإنسان والحياة؛ بمعنى آخر هي كل إنتاج وإرث مادي وروحي للشعوب؛ ولقد انتقد عبد الواحد يحي الحضارة الغربية بأنها حضارة موغلة في المادية القاتلة وتغليب الجانب الكمِّي على الكيفي. فما المراد بـ "الكمّ" في الحضارة الغربية عند الواحد يحي؟ هذا ما سنتطرق إليه في هذا المطلب.

الفرع الأول: تعريف الكمّ لغةً

- ورد في القاموس المحيط، "كم : أي سؤال عن العدد، ويقال أيضا الكمّ والكمّية."[3].

- أما في المعجم الوسيط، الكمّ: "من كم، اسم ثنائي مبني على السكون، يعبّر به عن عدد مبهم القدر والجنس"[4].

- وأما في معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية،" الكم هو إحدى مقولات أرسطو، وهو العظم المنظور إليه من حيث هو مقيس أو يمكن قيسه"[5].ويمكن اعتبار كلمات: ظهور، وعرض، ومادة، لهم نفس دلالة الكمّ.

---

[1]-المصدر السابق، ص 35.

[2]- عبد الواحد يحي ،هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ،ط1، إربد الأردن،عالم الكتب الحديث،2013م،ص خ

[3]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1156.

[4]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مصر، مكتبة نور ،2004م، ص797.

[5]- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، (د.ط)، تونس، دار الجنوب للنشر، 2004م، ص380.

وكما قالت العرب: بضدها تتميز الأشياء، وضد الكم هو "الكيف"، فلكي نميّز أكثر مفهوم "الكم" سنتطرق إلى مفهوم "الكيف". فما هو "الكيف"؟

تعريف الكيف لغةً

– ورد في القاموس المحيط،" الكَيفُ :القّطعُ. وكيف، ويقال :كَي: اسم مبهم ،حُرِّكَ آخره للساكنين، وبالفَتحِ لمكان الياء، والغالب فيه أن يكون استفهاماً حقيقياً أو غيره.

وكَيفَ: هو سؤال عن الحال، ويفسَّر :بالقول على أيِّ حال[1].

وهو أيضا إحدى مقولات أرسطو، وهو من أهمّ أعراض الجوهر، والكيف لا يقبل القياس"[2].

ويمكن اعتبار كلمات: روح ، وجوهر، وبطون ، وذات، لهم نفس دلالة الكيف.

الفرع الثاني: تعريف الكمّ اصطلاحاً

الكمّ من وجهة نظر عبد الواحد يحي، يتعلق أساسا بجانب الجوهر المقيد للظهور، باصطلاح آخر "الجوهر القابل للتقييد"[3]، ويقصد به العدد الكمّي، أي المادة التي تقبل التقدير والقياس[4] .وبما أن الكم مظهر خارجي لحقيقة كيفية باطنية، فالكيف هو المحتوى للجوهر المجرّد، أي روحه[5].

فهيمنة "الكم" على "الكيف" في الحضارة الغربية هي هيمنة "للمادية" على "الروحانية"، وإقصاء للأخيرة. فالمجتمع الغربي لا يعتمد إلا على القوة المادية[6]، وينكر ما عداها ، وتتجلى هذه الهيمنة في جميع مجالات الحياة، سواء الاجتماعية منها، أو السياسية ، أو الاقتصادية، وحتى الدينية. كما يؤكد عبد الواحد يحي في مقدمة كتابه "هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان" بقوله: "يمكن تقريبا تعريف عصرنا بأنّه جوهريا وقبل كل شيء عهد هيمنة الكم"[7].

1 –الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1449.

[2]– جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، ص380.

[3]– عبد الواحد يحي ، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص15.

[4] – المصدر نفسه، ص33.

[5]– المصدر نفسه ، ص15.

[6]– المصدر نفسه، ص7.

[7]– المصدر نفسه، ص2.

وفي الأخير نستخلص أن العصر الذي عاش فيه عبد الواحد يحي، وبحثه عن الحقيقة التي تطمئن قلبه وعقله، والتي وجدها في الجانب الشرقي من العالم، جعلته يرى بوضوح الحضارة الغربية على حقيقتها الغارقة في ماديتها. ومن هذا المنطلق بنى نقده لها، ليس رفضا لها ولكن ليضعها في حجمها الحقيقي، ووضع أيدينا على مواطن الخلل فيها؛ فهو لا ينتقد الحضارة الغربية لهدمها وإنما لإعادة تأسيسها على قيم إنسانية حقيقية، فما هي جوانب نقد عبد الواحد يحي للحضارة الغربية؟ هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الثاني.

المبحث الثاني

وهم عالمية الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي

المطلب الأول: تحيز الحضارة الغربية وأحكامها المسبقة.

المطلب الثاني: أحادية الحضارة الغربية.

المطلب الثالث: النزعة العلموية المادية والقصور العرفاني للحضارة الغربية

وهم عالمية الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي

بعد أن حاولنا التعرف في المبحث الأول على أهم السياقات التعريفية لمفهوم الحضارة عموما والحضارة الغربية خصوصا، إضافة إلى محاولة رصد سيرة عبد الواحد يحي في ربطها بالسياق التعريفي نفسه لمفهوم الحضارة، سنحاول في هذا المبحث – إن شاء الله تعالى – أن نسلط الضوء على وهم هيمنة الحضارة الغربية؛ ولذلك فقد جعلناه في ثلاثة مطالب أساسية: حيث يمكننا التعرف من خلال المطلب الأول: على تحيّز الحضارة الغربية وأحكامها المسبقة. و من خلال المطلب الثاني: على أحادية الحضارة الغربية في رأي عبد الواحد يحي. و في المطلب الثالث: على النزعة المادية والقصور العرفاني لهذه الحضارة كما أبرزها بحق عبد الواحد يحي. ولا يخفى ما لهذا المسلك من أهمية في محاولة تشخيص عبد الواحد يحي لأزمة الحضارة الغربية؛ من منطلق أنه يبرز لنا المحددات الأساسية في توجهه لنقد الحضارة الغربية.

المطلب الأول: تحيّز الحضارة الغربية وأحكامها المسبقة.

إن أشد ما يأخذه عبد الواحد يحي على النموذج الحضاري الغربي هو "التحيّز" التي تحرص هذه الحضارة على غرزه في ذهنية أفرادها وأحكامها المسبقة على باقي الحضارات الأخرى خصوصاً الشرقية منها، وهذا ما أردنا معالجته من خلال هذا المطلب.

الفرع الأول:تحيّز الحضارة الغربية

إن تحيّز وأنانية الحضارة الغربية يتجلّيان بوضوح، كما يقول عبد الواحد يحي: " المساواة عندهم لا تسمح للشعوب والأجناس الأخرى أن تكون لهم عقليتهم الخاصة بها ، وتختزل بمجرد الخروج من عندهم؛ فالشرقيون الأكثر ثقافة وحضارة ، والشعوب الأكثر بربرية يعاملون تقريباً بنفس الكيفية لأنهم خارج محيط "الحضارة" الوحيدة التي لها الحق في الوجود"[1].

لقد ظلَّت النرجسية الحضارية للغرب تتضخم، لتخلق عدوا وهميًّا، هو"الخطر الشرقي"كما يقول عبد الواحد يحي، من خلاله "يتوهم الغرب أنّ الأخطار خارجيةٌ لكنها في الحقيقة داخلية، فإمكانية انهياره ستكون من الداخل لا من الخارج"[2]. فاختلاق وهم "الخطر الشرقي" ليس إلاّ

[1]– عبدالواحد يحي، شرق وغرب، ص90.

[2]– المصدر نفسه، ص130.

وسيلة يبرر بها الغرب جرائمه، في حين أن الخطر الحقيقي، في اعتقاد عبد الواحد يحي" يكمن في طبيعة الحضارة الغربية نفسها، في ماديتها الصرفة، ومن المحتمل أن يؤول التقدم المادي المفرط إلى كارثة"[1].

الفرع الثاني: الأحكام المسبقة للحضارة الغربية.

من خلال وهم الحضارة الغربية لوحدانيتها ومركزيتها، ترسّخت وتجذّرت في أذهان أفرادها خصوصاً في العصر الحديث، أحكاماً مسبقة لتفوقها و تقدمها وعدم الاعتراف بوجود حضارةٍ أو حضاراتٍ متفوقة على حضارتهم سواء في الماضي أو في الحاضر، عدا الحضارة اليونانية التي مهدت لهم، فيقول عبد الواحد يحي: "الحضارة عندهم ، هي درجة التقدم والتطور، الذي بلغته الدول الأوروبية؛ فالحضارة هي أوروبا نفسها، إنها شهادة امتياز منحها العالم الأوروبي لنفسه"[2].

وقد شحنت الأحكام المسبقة الكثير من المستشرقين فمالوا إلى هذا الوهم وغطوا الحقيقة التي تقول بوجود حضارات غابرة، عرفت التحضر والتمدن ، وأنها استقت منها مبادئ بعض علومها ومعارفها، يقول عبد الواحد يحي بهذا الصدد: "ويبدو بين أولئك المستشرقين ميل جارف إلى إسقاط كل الحضارات القديمة كلما أمكن، وغالبا ما يقدمون على هذا رغم أنف أي منطق ، كما لو كانوا يشعرون بالحرج من حقيقة استطاعة تلك الحضارات في أزمانٍ غابرة أن تعيش في أوجها، والتي استقت منها مباشرة، ويبدو أنّ هذه هي الأعذار الوحيدة لأفكارهم المسبقة العرجاء"[3]. وهكذا أصبح الغربيون ينظرون إلى غيرهم نظرة دونية. وللخروج من هذا الوهم والأزمة، يجب إزاحة كل الأحكام المسبقة ، كما يقول عبد الواحد يحي[4].

المطلب الثاني: أحادية الحضارة الغربية.

على الرغم من الحقيقة التاريخية الساطعة التي دحضت مركزية الحضارة الغربية، مؤكدةً على أن كل علوم اليونان وفلسفتهم قد انتقلت إلى الغرب عبر المسلمين و غيرهم، ظل الغرب موهوما

[1]- المصدر السابق، ص117.

[2]- المصدر السابق، ص59.

[3]- رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص)، تر: عمر الفاروق عمر، ط1، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2003م، ص48.

[4]- عبدالواحد يحي، شرق وغرب، ص130.

بأحاديته، وانفصاله عدا الموروث الإغريقي كما سماه عبد الواحد يحي "التحيز الكلاسيكي"[1]. فلقد هدم عبد الواحد يحي وغيره بنقده لأحاديتها و عالميتها، فيقول:"التحدث عن الحضارة مطلقا، يساهم في الحفاظ على ذلك التحيز. وفهم كهذا للحضارة على أنها كيانٌ واحد، هو أمر ليس له وجود في الواقع وعلى مستوى الممارسة، فقد كان هناك دائمًا وما يزال حتى الآن حضارات كثيرة. والحضارة الغربية بسماتها الخاصة، هي ببساطة حضارة واحدة ضمن حضارات أخرى "[2].

الفرع الأول: وهم التقدم

على الرغم من الكثير من الشعارات الزائفة كـ"المساواة" و"الديمقراطية" التي تتغنى بها هذه الحضارة المزهوة والمغرورة بتطورها وتقدمها، فإنها تدعي بأنها الحضارة الوحيدة والمختارة لحكم الكون و التي لها الحق في الوجود ، كما ادعى اليهود أنهم شعب الله المختار.

لذلك يهدم عبد الواحد يحي وهم الحضارة العالمية ، فيورد في كتابه: "مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية"، بأنه كان ولا يزال هناك حتى الآن حضارات أخرى[3]. فيقول في مناسبة أخرى: "فلا وجود لحضارةٍ واحدة متفوقة في جميع المجالات على غيرها من الحضارات، وذلك لأنّه من المستحيل على الإنسان أن يوجه نشاطه في جميع الاتجاهات على السواء في نفس الوقت"[4]. ويؤكد أيضا: أن "التقدم في اتجاه ما ، سوف يتوازن مع تخلف في اتجاه آخر"[5]، علماً أن الحضارات الشرقية قد سكبت نشاطها في الجوانب الروحية، على النقيض تماماً في حضارة الغرب الحديث التي أفرغت كل نشاطها في خدمة ماهو ماديٍ ، "فسيكون الثمن الخسارة في المحصلة مهما كانت المظاهر الخارجية"[6].

---

[1]– التحيز الكلاسيكي: هو النزوع إلى إرجاع أصول كل الحضارات إلى اليونانيين والرومان. ينظر: رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص)، تر: عمر الفاروق عمر، ط1، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2003م، ص37.

[2]–رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص)، ص37.

[3]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– عبدالواحد يحي، شرق وغرب، ص48.

[5]– رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص)، ص41.

[6]– عبدالواحد يحي، شرق وغرب، ص48.

لا أحد ينكر منجزات العلم الغربي الحديث ويدعي أنه لم يقدم للإنسانيّة شيئاً يستحق الاعتراف، ولا ضير في أنّ ما قدمه من منجزاتٍ مادية قد جعل حياة الإنسان أكثر سهولة ويسر، ولا حاجة لتعديد مكاسب العلم التجريبي منذ عصر النهضة من اكتشاف للطباعة وجلّ التقنيات الحديثة وغيرها. لكن العلم الحديث، الذي وهب الكثير للإنسان في الجوانب المادية انتزع منه روحه، وجعلها أكثر غربة في عالم المادة التي أصبحت لغة التواصل في عصرنا الراهن. يقول عبد الواحد يحي:"فمفهوم التراث الروحي خُرّب إلى درجة أنّ الذين يطمحون في استرجاعه لا يعرفون إلى أي جهة يقصدون، وهم جاهزون لقبول أي أفكار خاطئة تعرض تحت اسمه أو في شكله الظاهري"[1].

إنّ نظرية التقدم التي ترتكز عليها حضارة الغرب الحديث، تنظر إلى الثبات على أنه معيار للتقهقر، وإلى التغّير على أنه معيار للتقدم، "فالأوربيون يزعمون أنّهم يرون في عدم التغير صفة دونية منذ بدءوا في الاعتقاد بالتقدم والتطور، منذ ما يربو على قرن من الزمان، بينما نراها من جانبنا حالة متزنة، أخفق الغرب في تحقيقها. ثم إنّ ذلك الاستقرار يعبر عنه في أشياء صغيرة كما يتجلى في الأمور الكبيرة، وكمثل على ذلك فإنّ "الموضة" بتغّيراتها التي لا تنقطع، هي مشكلة في الغرب فقط، وباختصارٍ، يبدو أنّ الغربيين –وخاصة المحدثين منهم– قد تلبّستهم طبيعة متغيرة غير مستقرة ، ورغبةٌ جارفة في الحركة والإثارة، في حين لا تبدو من الشرقيين إلاّ الصفات العكسية"[2].

هكذا ينظر الغرب إلى التغير على أنّه حتمية ضرورية للتقدم، وأنه بدون التغير لن يكون هناك تقدم ، وكأن كل ثبات ليس تقدماً، ما جعلهم مهووسين بالتجديد الدائم، الأمر الذي جعلهم يفتقرون إلى قاعدة روحية صلبة تدثّرهم من الضياع والانحلال والتلاشي. وبهذا الاعتبار يرفض عبد الواحد يحي فكرة "التقدم اللامحدود"، ومضمونها أن الإنسانية في جملتها في تطور مستمر متصاعد خطيا مع الزمن[3]. وهذه رؤية تبسيطية إلى أبعد حد ، تتناقض مع كل الوقائع المعروفة.

[1]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان ، ص230.

[2]– رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص)، ص31.

[3]– عبدالواحد يحي، شرق وغرب، ص61.

فهو يعتقد "أن التاريخ يبين لنا في كلّ عصر وجود حضارات مستقلة عن بعضها البعض، بل هي في غالب الأحيان متباينة، وبعضها يولد ويتطور بينما الأخرى تهوي نحو التلاشي، وتموت، أو تزول بغتة بفعل إحدى الكوارث، والحضارات الجديدة لا ترث دوما سابقاتها"[1]. فحسب تصور عبد الواحد يحي لا توجد حضارة متقدمة على شكل خطّي بحيث لا تموت ولا تتعثر؛ فالتاريخ يعطينا الكثير من الدلائل على ذلك، وكأبرز نموذج الحضارة الإسلامية التي انتكست اليوم. لذلك فالتقدم المزعوم للحضارة الغربية هو تقدم ينذر بفنائها، لأنّه تقدم لا يعترف بالجوانب الروحية الخالصة.

يختلف عبد الواحد يحي عن غيره في تصوره للتقدم بفكرة الزمن في الحضارات التراثية. حيث يعتقد أنّ هناك دورة بشرية تُعرف في العقيدة الهندية "بالمانفانترا Manvantara" ، تتكون من أربع مراحل حسب العقيدة الهندوسية وهي"العصر الذهبي، والعصر الفضي، والعصر البرونزي والعصر الحديدي، ونحن اليوم في العصر الرابع الذي يسمى «بالكالي-يوغا» أو "عصر الظلمة"، والذي يشهد أقوى درجات التعتيم للروحانية، التي تكاد تندثر نهائيا مع الهيمنة المادية التي اكتسحت حضارة الغرب الحديث"[2].

إن الدورة الكونية للبشرية، ليست دورةً زمنية خطية، فعند عبد الواحد يحي "الطبيعة الأساسية للحوادث متعلقة بالزمن برابطة أوثق بكثيرٍ من ارتباط الأجسام بالمكان. وهذا يؤكد مرة أخرى بأنّ الزمان ذو طابع كيفي أوسع. والحقيقة أنّ الزمان ليس بالشيء الذي يجري على نحو منتظم، وبالتالي فإنّ تمثيله الهندسي بخط مستقيم، كما يتصوره الرياضيون المحدثون، يعطي عنه فكرة خاطئة تماما بسبب الإفراط في التبسيط. إنّ التمثيل الحقيقي للزمان هو التمثيل الذي يقدمه التصور التراثي العرفاني للدورات الزمنية. ذلك التصور الذي يقوم على الزمان ذي الطابع الكيفي"[3]. ومن مميزات الدورة الزمنية الخاصة بعصر "الكالي-يوغا" الذي نعيش فيه كما حددها عبد الواحد يحي:

[1]- المصدر السابق، ص62.

[2]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص111.

[3]- عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان ، ص54.

* الأول: "سرعة الأحداث داخل الزمن، بمعنى تسارع الزمن"[1]. فالزمن ثابت كميًّا، أما كيفيًّا فقد تقلّص، وهذا ما نشعر به في عصرنا الحالي، ونعبر به في ديننا الإسلامي من علامات اقتراب الساعة.

* الثاني: "الاتجاه الهابط لسير الدورة، بمعنى الدورة الزمنية تتجه نحو النزول إلى أسفل والابتعاد تدريجياً عن المبدأ"[2]. أي إن الأحداث الزمنية تشير إلى الارتباط بالدنيوي أكثر من الارتباط بالمقدس. ونشاهد ذلك من خلال الابتعاد التدريجي المتسارع لإنسان العصر الحديث عن كلّ ما ينتمي للروحانيات، وعن كل ما له علاقة بعالم السماء، إذ أصبح النزوع إلى الأرض أقوى منه في أي زمن مضى.

هكذا يعتبر عبد الواحد يحي "أن سير الإنسانية الحالية يشبه حركة جسم متحرك ملقى به على منحدرٍ فهو ينزل بسرعة تزداد كلما اقترب أكثر إلى الأسفل"[3].لذلك يعتبر الزمن في العقائد التراثية زمنا كيفيًّا، يرتفع وينخفض، يستقيم حيناً ويعوج حيناً آخر، وما نشاهده في الطور الراهن للدورة البشرية "المانفانترا" هو غلبة القوى السفلية الشيطانية، أي أنّ محور الشر أقوى من محور الخير، والنزوع إلى الدنيوي.

الفرع الثاني: انعدام المعنى والمَبْدَأ

إن الحضارة الغربية لا تقوم على مبدأ يوحِّدُها، أي أنها فاقدة للمبدأ[4]؛ ولأنها أَلِفَتْ هذا التغيُّر والتَّشَتت؛ فإنَّها تعتقد أن الثَّباتَ يعني نبذَ كل تغيُّر، وأنه منافٍ للتطور والتقدم، بل وتعتقد أن ديمومة التغير الذي تعيشُه ضرب من ضروب التقدُّم، هذا الذي يراه عبد الواحد يحي ضربًا من ضروب التَّخَبُّطِ وعدم الاهتداء إلى سبيل سواء. لذا تراه يرى أنَّ الثبات على مبدأ جامع لا يعني التخلُّف وعدم المضيِّ قُدُمًا، ولكنه يعني قصر التغيُّرِ أبدًا على ما كان تكيُّفًا للظروف، ولا يؤثِّرُ على المبادئ العليَّة قطّ.

[1]- المصدر السابق، ص55.

[2]- المصدر السابق، ص56.

[3]- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص99.

إنَّ الغربي الآن يبحث من أجل البحث، دون غاية ولا حد[1]؛ فالبحث عنده شهوة مُتَّخَذَة غاية في نفسها، دون الالتفات إلى أن يُفضي إلى غاية ما. فبينما يبحث الناس بغية الحصول على شيء، يبحث الغربيُّ في أيامنا هذه لمجرد البحث. يفسر عبد الواحد يحي هذا الأمر بأن السبب وراءه أن الغربي يطلق لفظ "الموت" على كل ما يشكل مآلا نهائيا، أي ما ينتهي إلى غاية محددة. ويطلق لفظ "الحياة" على كل إثارة مستمرة عقيمة، أي ما كان اضطرابًا عقيمًا. هذا الأرق العقلي أو كما يقول عنه عبد الواحد يحي "قلق ذهني"[2]، أحال العقل الغربي إلى شيء تعيس ينكر فكرة الحقيقة جملة؛ لأنه لا معنى للحقيقة أصلًا.

المطلب الثالث: النزعة "العلموية" المادية والقصور العرفاني للحضارة الغربية.

أنكرت الحضارة الغربية كل علم صرف يجاوز طور العقل والحس، فلم يتجاوزوا الظاهر الخارجي من هذه الحياة، وأضحوا يرفلون في المذاهب البشرية، ولم تبارحهم النزعة "العلموية"[3]، التي تنكر الفكر الخالص إنكارا تاما، فالعالم الحديث ديدنه توهين المنظومة الروحية أو حتى اندثار الفكر العرفاني جملة على حدّ قول عبد الواحد يحي، والمغالاة في المنظومتين: المادية والشعورية.

يرى عبد الواحد يحيى أن الحضارة الغربية هي الحضارة التي تسلك المسلك المادي المحض؛ فالتقدم الغربي في الجانب المادي قد طغى على أي توجه روحاني عرفاني، بل إن الحضارة الغربية أنكرت الجانب العرفاني أصلا[4]، وهذا لاشك سيؤدي بهذه الحضارة إلى وقوعها في أزمة تنذر بزوالها. ويرى أيضاً أنَّ العقلانيَّة الحديثة بدأت مع ديكارت[5]،ثم ظهر أثرُها في الفلسفة الحديثة كلها؛ وأنَّ الميتافيزيقا التي قال بها ديكارت ميتافيزيقا زائفة، وليست من الميتافيزيقا الحقة في شيء؛

[1]- المصدر السابق، ص101.

[2]- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3]- العلموية: مذهب يقرر الاكتفاء بالبحث العلمي والفكر البشري، لحل كل المسائل المعرفية، كوسيلة وحيدة للتقدم. ينظر: عبد الواحد يحي، شرق وغرب ص،75.

[4]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص56.

[5]- المصدر نفسه، ص75.

لأنّ الميتافيزيقا هي المبادئ ذات الطابع الكلي، وبغيابها كل ما يبقى من معرفة سيكون فاقد المبدأ، وسيفقد العمق والمضمون ويجعله علم غربي لا يتجاوز السطح[1].

وتعتبر "النزعة الإنسانية" شكلا أوّليًا مسبقا لما أمسى "العلمانية" المعاصرة، وبالسعي إلى إرجاع كل شيء إلى مقدار الإنسان البشري المعتبر كغاية في حد ذاته، آل هذا التوجه إلى الهبوط ، درجة تلو الأخرى، إلى أن هوى إلى أحط مستوى بشري، بحيث لم يبق سوى الجري للبحث عن إرضاء الرغبات الملازمة للجانب المادي من طبيعته، وهو في حد ذاته وهمي، إذ أنه على الدوام يبتدع احتياجات زائفة أكثر ممّا يستطيع تلبيته[2].

إن الحضارة الغربية قائمة برمتها على غياب الوازع الديني والروحي، وهذا الأمر شاذ وغير سوي، ما يجعل منه نوعا من الشكل البشع الممسوخ. إن هذه العقلية العامية متطابقة مع العقلية المضادة للتراث والتي تتلخص فيها جميع التوجهات الحديثة، وهي السبب الحاسم في الانهيار الراهن للغرب.[3]

يعتبر التقدم المادي للحضارة الغربية ، الذي تنعكس أصداؤه في كل مناحي الحياة، على أنّه معيار لقياس الذكاء والعبقرية. لقد انحسر الذكاء تحت هيمنة النزعة التقدمية في المجال المادي، وبالأخص في مجال الاختراعات التقنية، حيث أصبح مفهوم العبقرية يقترن باختراع ما يقع مباشرةً في نطاق الحواس، أي ما يمكن أن يحقق المنفعة المباشرة بشكلٍ ملموس كما يقول عبد الواحد يحي: "في مثل هذا العالم (الغربي الحديث) لم يبق أيٌّ مكانٍ للذكاء، ولا لكلّ ما هو داخلي محضٌ، لأنّ الأمر هنا يتعلّق بأشياء لا تُرى ولا تُلمس، لا تُحسب ولا تُوزن، لا مكان، بعد، إلا للحركة الخارجية بجميع مظاهرها"[4].

إن ما أنتجه العلم من وسائل غير مسبوقة لتحسين حياة الناس وحفظها من الأمراض، وإطالة الأعمار، أخذ وجهاً آخر في القرن الماضي. بالمقابل لذلك، لقد تم اختراع وسائل غير مسبوقة لتهديد الحياة ولنشر الموت، لم يعهدها الإنسان، دمرت الوجه الإنساني والروحاني

[1]- المصدر السابق، ص81.

[2]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص22.

[3]- المصدر نفسه، ص67.

[4]- عبد الواحد يحي ، شرق وغرب، ص56.

للحضارة الإنسانية، وشوهت الطبيعة نتيجة أطماع الإنسان في السيطرة الجامحة من إنتاج الأسلحة النووية وأسلحة أخرى للدمار الشامل، كيماوية وبيولوجية، وأتاح لها الانتشار الواسع. وتسبب التقدم التقني والصناعي فيخلق كوارث بيئية وبيولوجية أخطرها اليوم، ما يدعى بالاحتباس الحراري، وما نراه من أمراض نتيجة التلاعب بالجينات. "إن للاختراعات المتكاثرة أخطار جسيمة، حتى التي لم تخترع بغرض دمار البشر، وهذه الأخطار ستتفاقم بلا شك بمقادير يصعب تحديدها، يمكن دون جموح في الخيال، أن يكون سبب دمار العالم الحديث، إذا عجز عن التوقف عن سيره في هذا الاتجاه"[1]. لذلك يعتقد عبد الواحد يحي "أنّ استمرار تصعيد المادية، في مجال الصناعة والتقنيات سيؤدي إلى تدمير الحياة، ويصبح رعب الموت يسكن الإنسان الحديث ولا يغادر تفكيره.

إن صاحبنا رحمه الله تعالى لا ينكر التقدم المادي ولا يرفضه، لكنه يرفض التقدم بالمفهوم الحداثي الذي هيمن على الحضارة الغربية، والذي يتناقض مع العرفان الخالص بل يسحقه، لأن التقدم الحداثي يتماهى مع المادي. ويعترف بقوله: "ونحن لم نشكك أبدا في وجود "تقدم مادي"، وإنما اعترضنا فقط على أهميته. والرأي الذي نؤيّده هو أنه لا يكافئ ما يتسبب في فقدانه في الجانب "الروحي العرفاني"[2]، ولا يخالف هذا الرأي إلاّ من كان جاهلاً بالعرفان الحق"[3].

لكن الذي يعيبه عبد الواحد يحي على التقدم المادي هو أنه فُهم في الحضارة الغربية على أنه غير ممكن إلاّ إذا فُصل كلياً عن النشاط الروحاني للإنسان، وكأن الإنسان في منظورهم لا يمكن أن يحصل الغايتين معاً في الدنيا: الغاية المادية والغاية الروحية، وهذا ناتج عن سوء فهمهم معنى "المادي"،ومعنى "الروحاني" ، إذ هم يعتبرون أنّ الأول نشاطٌ عمليٌ منتج ذو منفعة وفائدة، وأنّ الثاني نشاطٌ تأمليٌ لا منفعة من وراءه، بمعنى عقيم، وسوء الفهم هذا أدى إلى الانحراف والفوضى.

[1]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص102.

[2]– العرفان الروحي: هي البصيرة الخالصة والمعرفة التي هي فوق طور العقل. ينظر: عبد الواحد يحي، السلطة الروحية و الحكم الزمني، تر: عبد الباقي مفتاح ، ط 1 ،إربد –الأردن، عالم الكتب الحديث، 2018م، ص31.

[3]– عبد الواحد يحي ، شرق وغرب، ص67.

وهذه ليست كل الجوانب التي شخصها عبد الواحد يحي لمعالجتها، فتكمن في الحضارة الغربية عدّة بؤر أدت إلى أزمتها الحالية ، من هيمنة للكم على الكيف ، وهيمنة للفردانية وغيرها، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

المبحث الثالث

رؤية عبد الواحد يحي إلى هيمنة المنظور المادي–الكمي في الحضارة الغربية

المطلب الأول: نقد أيقونة الحضارة الغربية: "العلم المادي".

المطلب الثاني: نقد الفلسفة الغربية.

المطلب الثالث: مظاهر هيمنة الكم في الحضارة الغربية.

رؤية عبد الواحد يحي إلى هيمنة المنظور المادي–الكمي في الحضارة الغربية

بعد أن حاولنا التعرف في المبحث الثاني على جملة من الجوانب التي شخّصها عبد الواحد يحي في إطار نقده للحضارة الغربية، واستجلاء مكامن الأزمة التي أصابتها، سنحاول في هذا المبحث – إن شاء الله تعالى – أن نسلط الضوء على أهم المرتكزات التي شكّلت الخلفية المعرفية والفلسفية والاجتماعية للأزمة الحضارية الغربية، لتنتهي بها في فوضى التشتُّت وفقدان المبادئ والوجهة الصحيحة، في رؤية عبد الواحد يحي. ولا يخفى ما لهذا المسلك من أهمية في محاولة سبر الأسباب التي ولّدت الأزمة الغربية الحالية؛ بهدف إنقاذها، وانتشالها قبل زوالها واندثارها.

المطلب الأول : نقد أيقونة الحضارة الغربية: "العلم المادي".

إن العلم الحديث، الذي ظلت الحضارة الغربية تفاخر به، وتستعلي به على بقية الحضارات، وتتخذه أداةً للهيمنة، هو عند عبد الواحد يحي، عبارة عن "دراية خارجية سطحية"[1]، فما هي مآخذه على هذا النموذج الحضاري الغربي؟

الفرع الأول: العلم الغربي الحديث "دراية جاهلة":

إن انحطاط العلم الحديث ودونيته عند عبد الواحد يحي يتجليان في الطابع التحليلي للعلوم التجريبية، حيث يقول: "إنّ العلم الغربي تحليل وتشتت، والمعرفة الشرقية تجميع وتركيز"[2].

إنّ الطابع التحليلي جعل العلوم التجريبية مقطوعة الصلة بالتراث العرفاني، لأن العلوم التجريبية تدرس الطبيعة الحسية بشكل جزئي، فيتخصص كل علم بدراسة جزء معين من الكون المادي، حيث ترفض وجود مبدأ أعلى ترتد إليه الكثرة والتنوع، فبدلاً من رد الكثرة إلى الوحدة والتغير إلى الثبات فإنها تنظر إلى كل شيءٍ بمنظورٍ نسبي.

لذلك يعتقد عبد الواحد يحي أنّ "الإجلال الخرافي" للعلم الحديث، بمعنى قداسة العلم الحديث عند الغرب، نابع من كونه يلبي المطالب المادية، إذ" لا يوجد إلاّ أمرٌ واحد يمكن أن يفسر الانبهار بلا حدود والإجلال الخرافي تجاه هذا العلم: ذلك أنه ينسجم انسجاما تاما مع

[1]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص88.

[2]– المصدر نفسه، ص69.

احتياجات حضارة مادية صرفة"[1]. فالعلم الحديث لا يقيم اعتبارا للتأمل المجرد، ويحصر الحياة في الجانب التطبيقي العملي النفعي .فالتقنية كأكثر مظاهر العلم الحديث لم تخدم الجوانب الروحية بقدر ما زادت في تغذية النوازع الغريزية التي تصب في خدمة الجسد فأصبح الجسد اليوم مصدرا للثروة داخل منظومة الاقتصاد السلعي. وأصبح يعّبر عن الهويّة الذاتية والفردية والاستقلالية ويعكس توجهات الفرد الفكرية والعقائدية، وحتى ذوقه الفني وحسه الجمالي. فالتقنية الحديثة أعطت للجسد مركز الصدارة، وانتزعت منه الروح، وبذلك شطرت من جديد العلاقة بين الجسد والروح، فأصبح العلم الغربي الحديث، حسب اعتقاد عبد الواحد يحي، يصب في خدمة الجسد ويحقق فقط ما يسميه بـ: "الرفاهية البدنية"[2].

هذه الرفاهية البدنية صنعت مجتمع الكم وأقصت الكيف، بمعنى آخر، فإن التكنولوجيا الحديثة ساهمت في تجميد وتعطيل العقل ، لأن العلوم والمعارف كانت تكتسب بجهد فأصبحت تستهلك بضغطة زر. وبهذا اكتسب العلم الحديث هذه الهيمنة، التي هي نتاج عن جهل الناس بحقيقة التراث العرفاني الروحي الخالص الذي يشترط لفهمه "عقلا مستبصرا[3]"[4].

فمميزات الفكر الحديث عند عبد الواحد يحي، تتجلى في: الغياب التام للمعرفة الميتافيزيقية، وإنكار كل معرفة غير المعرفة التي تقوم على الدراية العلمية، والحصر التعسفي للدراية العلمية نفسها في ميادين معينة وإقصاء غيرها[5]. وكل هذا يعتبره عبد الواحد يحي دركة الانحطاط العقلي الذي وصل إليه الغرب.

إن علوم العصر الحديث ترتكز فقط على مقولة "الكم" حتى إنّها تتعسف لتسقطها حتى على العلوم ذات الطابع الكيفي، حيث تحاول إخضاع الكيف للكم، "فالعلم عندهم بالمفهوم الضيق الذي حصروه فيه، لا قيمة له بالأخص إلا بمقدار قدرته على بلوغ تطبيقات صناعية"[6].

---

[1]– المصدر السابق، ص84.

[2]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3]– العقلية المستبصرة: هي العقلية ذات تحقق عرفاني روحاني، مهتد بنور البصيرة الربانية كما هي عند أولياء الله تعالى. ينظر: عبد الواحد يحيى، أزمة العالم الحديث، ص39.

[4]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص84.

[5]– المصدر نفسه، ص81.

[6]– المصدر نفسه، ص55.

وهذا الحصر التعسفي والإسقاط ارتد إلى جميع الميادين، والمجالات، والنواحي. "إنّ نظرة الغرب إلى الإنسان نفسه محكومة إلى هذا النمط الفكري الذي يعلي من قيمة الرقم على حساب المعنى. ولأجل هذا نجده قدّس الرياضيات وصلى لمعايير الكم ، بل كمّم الكيف نفسه وعبّر عنه بصيغ رقمية"[1]. ووصل بهم هذا الانحراف إلى تطبيقه في علم النفس، لذلك يقول عبد الواحد يحي:" فالفكرة الحمقاء في وجود علم نفس يعتمد على قياس مقادير كمية تمثّل حقا أبرز درجة للزيغ العلموي الحديث"[2]. فالنموذج الحضاري الغربي في العصر الحديث هو الامتثال التام لفرضيات العلم الحديث، الذي يحرص على الموضوعية والتجرد من العواطف وعلى الحياد وعدم الاكتراث بالغايات الأخلاقية والإنسانية[3].

لقد بين كلود بيرنارد[4] من رواد المنهج التجريبي ، أنه لا يمكن تفسير النظريات إلا من خلال خلال "أفكار سابقة" ومن دونها تبقى تلك الظواهر "وقائع مبهمة" الأصل، مجردة من أي دلالة وقيمة علمية.

ويؤكد عبد الواجد يحي أنّ خطر هذه النظريات الوهمية يكمن خصوصا في تزيينها بوصف "علمية" فيكون لها أثر عظيم على التوجهات العامة للناس وأخذها كعقائد ثابتة يقينية، وكمثال على ذلك "نظريات النشوء والارتقاء"[5].

ويورد "كريسي موريسون" في كتابه "العلم يدعو للإيمان"، فيقول: "إن الغاية جوهرية في جميع الأشياء، وإذا آمنا بأن الإنسان هو أهم مظهر لتلك الغاية، فإن الاعتقاد العلمي بأن جسم الإنسان وجهاز مخه ماديان ، قد يكون سليما، ولكن هذه الأدوات عديمة الفائدة ما لم يحركها العقل حركات ذات غرض، فهناك إذا خالق للكون لا يرقى إليه تفسير العلم، ولا يقدر أن ينسبه

[1]– مرتضى آويني، التنمية وأسس الحضارة الغربية: التقدم الاقتصادي أم التكامل الثقافي، تر: مسعود فكري،ط1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي 2016م، ص8.

[2]– عبد الواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص53.

[3]– عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان ، ط2، دمشق، دار الفكر،2007م، ص137.

[4]– كلود بيرنارد (1813–1878م): طبيب وعالم فيزيولوجي فرنسي ، ساهم في إرساء قواعد المنهج العلمي، من أهم كتبه: "مدخل لدراسة الطب التجريبي". ينظر: محسن المحمدي ،"كلود بيرنارد "نيوتن الطب" ورائد المنهج التجريبي"، جريدة العرب الاقتصادية الدولية، السعودية، نشرت في:2014/11/26. تاريخ الاطلاع: 2020/02/22 .
الموقع الاكتروني (https://aleqt.com).

[5]– عبد الواحد يحيى، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص ص 136–135.

إلى المادة"[1]. العلم نفسه يعجز أن يقدم براهين حقيقية من واقع التجارب والأرقام على الخلق بالصدفة، ويتساءل "بيجوفيتش"[2] قائلا: "أليست هذه أكبر خرافة غزت عقل الإنسان؟ أن تطلب من شخص ما أن يتقبل عقله أن شيئا على درجة من الكمال والتعقيد كعين الإنسان أو عقله قد وجد بمحض الصدفة"[3].

يرفض عبد الواحد يحي النموذج الغربي كنموذج حضاري وحيد يفوق كل النماذج الحضارية الأخرى لما فيه من تميز للصفات المادية على حساب الصفات الروحية المعنوية، ويظهر هذا في الهجوم الشرس على الطبيعة البشرية كمفهوم مرجعي للعلوم الإنسانية، وهو ما ينمي في الإنسان المقدرة على الانفصال عن المضمون الإنساني والأخلاقي لأي فعل يقوم به وعن أي آثام يقوم بارتكابها.

ويؤكد عبد الواحد يحي "أنّ المناهج العالمية المطبقة اليوم في جميع بلدان العالم بلا استثناء، والتي ينظر إليها نموذجا لأعلى درجات التقدم والهدف الوحيد في الواقع هو الحصول على أوفر منتوج، والكيف لا يهم كثيرا. فالكم وحده هو الغاية ؛ وهذا يعود بنا إلى نفس الملاحظة: وهي أن الحضارة الحديثة يمكن حقّاً تسميتها بالحضارة الكمية ، أو بتعبير آخر مطابق لنفس المعنى: هي حضارة مادية"[4].

الفرع الثاني: تشتت العلم الغربي

إن العلوم الغربية في رأي عبد الواحد يحي قد وقفتْ عند السطح لا تجاوزه؛ لذا فإنَّ خسارتها الحقيقيَّة تكون أشدَّ فدحًا في المضمون والعمق. وهي رغم تَشَظِّيها إلى هذه الكثرة التي لا حدَّ لها من المعارف الجزئيَّة، وفي استغراقها في تفاصيلَ لا تُحْصَى من الوقائعِ، لتدرك حقائق

[1]– كريسي موريسون ، العلم يدعو للإيمان، تر: محمود صالح الفلكي، ط 1،دمشق ، سوريا ،دار وحي القلم ، 2013م، ص ص 95-96.

[2]– علي عزت بيجوفيتش(1925م–2003م): الرئيس البوسني السابق و المفكر والفيلسوف الإسلامي ، من أهم مؤلفاته: "الإسلام بين الشرق والغرب"، و"رحلتي نحو الحرية"، ومذكراته . ينظر: محمد يوسف عدس، مذكرات علي عزت بيجوفيتش، (د.ط) ،القاهرة ، دار المختار ،2004م.

[3]– نهى كمال سليم، نقد الحضارة الغربية عند مفكري الغرب المسلمين، علي عزت بيجوفيتش نموذجا ، دكتوراه في مقارن الأديان ، جامعة القاهرة ،(د.ت)، ص20.

[4]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص99.

الأشياء؛ فوصفت هذه الحقائق بالتَّأَبِّي على الإدراك والفهم؛ تبريرًا لعجزها في هذا الشأن. ويبدو أن أكثر فوائد هذه المعارف عملية، لا نظريَّة. وليستِ التَّخصُّصات العلمية الكثيرة التي يتغنَّى بها الغربيُّون إلا تعريفًا للقصور العرفاني الذي يعتري العقل العلمي الغربي.

فهو يؤكد بقوله: "إن المفهوم الحديث حصر العلوم في نطاق ضيق لا سبيل إلى الانعتاق منه، مما يضفي السطحية على العلوم والتشتت، والتشظي في التفاصيل والتغلغل في التحليل العقيم المضني دون التقدم في طريق المعرفة الحقيقية"[1]. فالعلم الغربي فقد عمقه وصلابته لأن ارتباط العلم بالمبادئ يجعله مساهما في ثباتها بالمقدار الذي يسمح به موضوعه ، أمّا إذا انغلق العلم حصريا عن المبادئ أصبح متغيرا لا يستقر على حال ولا يثبت على موقف[2].

الفرع الثالث: نسبية الحقائق العلمية

يؤكد عبد الواحد يحي في كتابه "السلطة الروحية والحكم الزماني"، أن تعاليم جميع "المذاهب التراثية"[3] تؤكد على تفوق ما هو روحي على ما هو زمني أي مادي، وعلى اعتبار التنظيم الاجتماعي سويا شرعيا عندما يتحقق الإقرار بهذا التفوق، ويترجم في العلاقات بين السلطتين المتمثلتين لهذين المجالين. ومن جانب آخر، التاريخ يبين لنا بوضوح ، انعدام الاعتراف بهذا "النظام التراتبي"[4]، تنجر عنه في كل زمان ومكان نفس النتائج: فقدان للتوازن الاجتماعي، وهيمنة متفاقمة للعناصر الأكثر انحطاطا ، وأيضا تقهقر للعقلية المستبصرة وللروحانية ، وفي البداية نسيان للمبادئ المفارقة المتعالية، ثم هبوط تدريجي دركة بعد دركة، إلى حد إنكار أي معرفة حقيقية[5]. ذلك أن الحقيقة ليست نتاج عقل بشري، فهي واقعة مستقلة عنا، وما علينا إلاّ التعرف عليها[6].

---

[1]– المصدر السابق ، ص117.

[2]– المصدر السابق ، ص57.

[3]– المذاهب التراثية: هي تلك الرؤى المرتبطة بالشرائع السماوية وبالوحي الإلهي. ينظر: عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني، تر: عبد الباقي مفتاح ،ط 1 ، إربد الأردن، عالم الكتب الحديث، 2018م، ص30.

[4]– النظام التراتبي: يقصد به تفوق السلطة الروحية المشرفة على حياة التأمل على الحكم الزمني المسيّر لحياة النشاط العملي. ينظر: عبد الواحد يحي، السلطة الروحية و الحكم الزمني، ص98.

[5]– عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني، ص93.

[6]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص69.

من أهم مميزات العلم الظاهري هو عند ولوجه إلى ميدان الملاحظة المجردة للوقائع هو إنشاء نظريات مفترضة ، وهذا انطلاقا من التجربة والاختبار فقط. إن هذه التغيرات المستمرة في الفرضيات تبين هشاشة تلك الفرضيات واستحالة الاعتراف بأن لها قيمة حقيقية فهي قيم نسبية، أي مجرد تصورات محدودة مؤقتة.

ويؤكد عبد الوهاب المسيري بقوله :"إذا كان العلم المادي ينظر إلى كل الأمور بنظرة نسبية، فنظراً لسيادة روح العلم المادي للنموذج الحضاري الغربي، فإن ذلك قد أدى إلى ظهور نسبية مطلقة تؤدي إلى المساواة بين كل الأمور في جميع الوجوه وإلى تسويتها، وهذا يؤدي فيما يرى إلى ضمور الحس الخلقي وإلى تزايد المقدرة على الحكم على ما هو إنساني بمقاييس غير إنسانية"[1].

وهنا تتساوى الحقائق الاحتمالية العلمية بالحقائق الدينية والأخلاقية المطلقة، فتنتفي كافة المطلقات لصالح الاحتمالية. وإن كان هذا يصب بلا شك في نزع فتيل التعصب من القلوب إلا إنه يلقي بظلال الشك والريبة في النفوس. ويصبح مصدر الأخلاق ليس الإله أو الدين أو الغايات الإنسانية وإنما المجتمع أو العلم. فحين يصبح المجتمع مصدراً للأخلاق فإن كل مجتمع يخلق قيمه الاجتماعية التي تخدم مصالحه، وأن الإنسان يتحلى بالأخلاق نتيجة للتطبيع الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية فحسب. فتصبح الأخلاق هي إتباع الرأي المجرد للأغلبية وليس محاكمة هذا الرأي من منظور أخلاقي متعين. أما حينما يصبح العلم مصدرا للأخلاق فإن القوانين الأخلاقية تؤسس على هدي القوانين العلمية "المجرد" والحسابات الرياضية الرشيدة والوضعية، كما هو الحال في الفلسفات النفعية التي جعلت الأخلاق هي المنفعة واللذة وأصبح الهدف من الحياة هو البحث عنها وتعظيم الإنتاج والدخل[2]. ومن ثم تنهار القيم الأخلاقية الكبرى تحت أقدام المنفعة واللذة وتصبح إنسانية الإنسان وكرامته قابلة للتداول التجاري والنفعي. ومن ثم تصبح القضايا الأخلاقية قضايا معرفية، فمشكلة الإباحية في الغرب أصبحت قضية معرفية وليست أخلاقية فحسب؛ لأنها باتت جزء من الهجوم على الطبيعة البشرية وعلى قداسة الإنسان. فالرؤية العلمانية الإمبريالية طبَّعت الإنسان ونظرت إليه باعتباره مادة صرفة.

[1]– عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص 137.

[2]– المرجع نفسه ، ص 138.

إن مشاهدة أكبر عدد من الوقائع تعطي على الأقل أكبر احتمال لصحة النظرية، لكن في هذا الكلام اعتراف بأنه لا يمكن الوصول بهذه الكيفية إلى اليقين، وبالتالي فإن النتائج المنصوص عليها ليست هي أبدا بالدقيقة، وفيه أيضا اعتراف بالطابع التجريبي الصرف للعلم الحديث، ومع هذا فأنصاره بسخرية غريبة يحلو لهم أن يعيروا معارف القدامى بالتجرباتية "الخيالية أو الخرافية". والحق أن العكس تماما هو الصحيح، لأن معارف القدامى الأصيلة نابعة من المبادئ، لا من الملاحظات التجريبية، بحيث يمكن القول بأن العلم الظاهري مبني بناء مقلوبا تماما بالنسبة للعلم التراثي العرفاني. إن العلم الحديث ، بعيد عن الشمولية لكونه يهمل أو يقصي قسما كبيرا من معطيات التجربة ، وهي إجمالا التجارب ذات الطابع الكيفي[1].

النموذج المعرفي الغربي الذي يدعي العقلانية والإنسانية هو نفسه الذي قدم مشروعا حضاريا يقوم في الأساس على التدمير والإبادة والنهب الإمبريالي، وظهر سلوكيا وفكريا في وحشية "الداروينية"[2]، و"النيتشوية"[3]، و"الأيديولوجيات العنصرية"[4] التي كانت السند المعنوي الحقيقي للغزو الإمبريالي ولأسطورة تفوق العرق الأبيض، والتي كانت النازية إحدى إفرازاتها، ثم الصهيونية. كما ظهر جليا ذلك النزوع العام إلى عزل العلم عن عالم الأخلاق والقيم؛ حيث صارت العلوم ثم تطبيقاتها غاية في ذاتها بغض النظر عن أي ضابط عقلاني أو غاية أخلاقية أو إنسانية، وترتب على ذلك أن صارت تطبيقات العلم نفسها مجرد مشروعات اقتصادية ذات هدف ترشيدي

[1]– عبد الواحد يحي ، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص85.

[2]– الداروينية: وهي نسبة إلى مذهب العَالِم الطَّبيعي البريطاني"داروين" وتطلق على معنيين هما: المذهب الأول : هو مذهب التطور، والمذهب الثاني :هو مذهب الانتخاب الطبيعي. ينظر:جميل صليبا، المعجم الفلسفي،(د.ط)،لبنان–بيروت، دار الكتاب اللبناني،1982م، ج1،ص556.

[3]–النيتشوية: نسبة للفيلسوف الألماني "فريديريك نيتشه"، صاحب المقولة الفلسفية: "أن معرفة العالم ما بعد الطبيعي ،مهما كانت الأدلة التي تثبت وجوده، إنما هي أقل المعارف أهمية". ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، (د.ط)، تونس، دار الجنوب للنشر، 2004م، ص463.

[4]–الإيديولوجيات: هو مصطلح ابتُدِعَ في القرن 18م للدلالة على العلم الذي ينظر في طبيعة الأفكار، والمعنى المتداول عمومًا لهذا اللفظ هو: ذلك التفكير النظري في عدة ميادين :كالسياسة والدين والقانون والفلسفة والأخلاق المنتمية للبنية الفوقية للمجتمع. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد، ص ص 70–71.

استهلاكي غايته الوحيدة الربح والربح وحده[1]. والنتيجة الحتمية لذلك أن صار الاستهلاك غاية الغايات. ومن ثم يبدو هذا النموذج معاديا للإنسان وليس من أجله كما يتوهم البعض.

المطلب الثاني: نقد الفلسفة الغربية.

تشكل الفلسفة الغربية البناء التحتي للحضارة الغربية، منذ بدأ تحول النفوذ العلمي إلى إنشاء منهج فلسفي يحاول أن يقدم بديلا عن الدين، ومع الأسف كان هذا البديل ماديا خالصا[2].

وكان هذا التحول بعد أن انهارت في الغرب الرؤية المسيحية للعالم التي تقوم على أساس الاعتقاد بأن الله الأب قد أحب البشر لدرجة أنه أرسل إليهم ابنه، فلم يجد المسيحي الذي درس العلوم إلا اختيارين: إما أن يرفض المسيحية ويحاول تكوين نظرة موحدة للكون بدون الدين، وإما أن يصبح شخصا ممزقا يؤمن بمعتقداته سرا ولكنه يتصرف علانية، وكأن تلك المعتقدات لا تتوافق مع الحياة الواقعة. وقد وصل الأمر في النهاية إلى أن معظم الناس في روسيا ودول أوربا الشرقية رفضوا المسيحية كلية واستعاضوا عنها بالفلسفة المادية، التي تمثل علمية زائفة قام هيجل وماركس بوضعها[3].

الفلسفة في رؤية عبد الواحد يحي لست سوى مرحلة إعداد ممهدة، وسير نحو الحكمة، بمعنى درجة تتناسب مع حال أقلّ سمو من الحكمة ذاتها[4]. والانحراف الذي وقع، هو استبدال الحكمة بالفلسفة. فعلى الرغم من تغيرّ الموضوعات، وتعدد المناهج الفلسفية على كثرتها عبر التاريخ، إلاّ أن الفلسفة لم تخرج عما هو دنيويٌ محض، فهي ذات نمط عقلاني[5].

---

[1]– عامر عبد زيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحنُ والغرب ، مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي، ط1، (د.ن)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، 2017م ، ص288.

[2]– أنور الجندي، الفكر الغربي دراسة نقدية، ط 1، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1987م، ص124.

[3]– المرجع نفسه ، ص ص 82-83.

[4]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص17.

[5]– المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

لذلك يرفض عبد الواحد يحي وجود ما يطلق عليه "بالفلسفة العمومية"[1]، أو "الفلسفة الدنيوية"[2]، التي فقدت عمقها العرفاني، على غرار "التراث" أو "التراث الملي"، الذي هو معرفةٌ فوق بشرية مصدرها الوحي الإلهي ، أما الفلسفة فهي معرفة بشرية مصدرها الإنسان. فالفلسفة إذن ليست وحيًا أو إلهاما سماويًّا، كما يقول عبد الواحد يحي: "إنّ أي فلسفة، وإن كانت في الحقيقة كلما يمكن أن تكونه، ليس لها أي حق بهذه التسمية، لأنّها تقع كلّيا ضمن النسق العقلي (...) ولأنّها ليست سوى بناء شيده أفراد من البشر دون وحي ولا إلهام من أي نوع (...) لأنّها شيء ما دنيوي في جوهره"[3]. ويظهر هذا الانحطاط في ظهور فلسفة التشكيك من جانب، وبروز فلسفة الأخلاق "الرواقية"[4] و"الأبيقورية"[5]من جانب آخر. وأمست المذاهب المقدسة العتيقة ، لا يكاد يفهمها أحد، فانحطت بسبب هذا إلى "وثنية" بالمعنى الحقيقي للكلمة[6].

إذا، فالعصر المظلم، عند عبد الواحد يحي، الذي بدأ فيه تعتيم وتنكيس التراث هو العصر الكلاسيكي اليوناني، لأنّ اليونانيين عرفوا بمقاطعتهم لكل ما هو روحي وتبجيلهم لكل ما هو مادي، الذي طبع حياتهم كلها. وكان مقدمة لجذور الانحراف الحديث الذي وصلت إليه الحضارة الغربية.

إنّ الفلسفة في منظور عبد الواحد يحي مهّدت لأزمة الحضارة الغربية، باعتبارها أزمة روحية فاقدة للمبدأ الأعلى الثابت."العلم الغربي برمته عبارة عن دراية خارجية وسطحية، وبهذا الاعتبار

---

[1]– المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[2]– رينيه جينو (عبد الواحد يحي)، أزمة العالم الحديث، تر: أسامة شفيع السيد، ط1،بيروت–لبنان، مركز إنماء للبحوث والدراسات،2019م، ص59.

[3]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص42.

[4]–الرواقية : وهي مدرسة فلسفية أسسها الفيلسوف "زينون السيتيومي"، وأهم ما يميز هذه المدرسة عموما هو :أن الأخلاق أهم من المعرفة، والمعرفة هي مجرد وسيلة لاكتساب الحكمة ومهارة الحياة لا أكثر. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص221.

[5]– الأبيقورية: وهي مذهب الفيلسوف اليوناني "أبيقور" (341ق.م–270ق.م)، ويقوم في مجال المعرفة على النزعة التجريبية، التجريبية، التي تجعل من الإحساس المعيار الأول للحقيقة. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص14.

[6]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص19.

فالفلسفة لا تتميز حقاً عن العلم، ولهذا سماها البعض "الحكمة الإنسانية". ولتجنب اللبس نسميها أيضا "حكمة دونية"، يعني في الصميم ليست حكمة بتاتاً، وما هي إلا مظهر وهمي لها"[1]. فالفلسفة دنيوية عظّم دورها، بمعنى غير مقدسة لعدم ارتباطها بمبدئها الإلهي.

كثير من العلماء ينظرون إلى منجزات معينة وكأنها إلهام إلهي[2]. وفي نظر عبد الواحد يحي، الفلاسفة يضحون بالحقيقة في سبيل الابتداع مهما كان الثمن، واختراع خطأ جديد بالنسبة للفيلسوف الراغب في الشهرة أولى عنده من تكرار حقيقة عبّر عنها قبله آخرون[3]. وهذا شكل من النزعة "الفردانية" التي سيأتي ذكرها في المطلب الموالي.

من النظريات الحديثة للفلسفة المادية، العقلانية التي تنفي كل مبدأ أسمى من العقل، فنتيجتها العملية هو الانحصار في استعمال العقل وتضخيمه، وبمقتضى هذا الانحصار جعله معزولا عن مبدئه الروحاني المفارق المتعالي والذي لا يمكن للعقل بديهيا وشرعيا إلا أن يعكس نوره في المجال الفردي ، وبمجرد ما يفقد العقل صلته الفعلية بمبدئه المتعالي عن الفردية ، فلا يسعه إلا أن ينكب نحو الأسفل ، والانغماس أكثر فأكثر في المادية، وبمقدار انغماسه يفقد تدريجيا فكرة الحقيقة نفسها إلى أن ينقاد في اتجاه التبسيط والتسوية في كل الأشياء. وبالتالي يكون العقل أسرع وأيسر انقيادا لهذا التوجه كلما كانت نتائجه موافقة لِهَواه، وهذا السقوط المتسارع يؤول في النهاية إلى ما يطلق عليه "هيمنة الكم"[4].

وجاءت أيديولوجية ما بعد الحداثة لتعلن حالة الموات العام فبعد أن أعلنت مرحلة "موت الإله" لأجل الإنسان ثم موت الإنسان وموت المعنى ونهاية التاريخ والأيديولوجية والأدب والفلسفة، فلا يسعنا سوى القول بأنها حالة الموات العام. وأيديولوجية ما بعد الحداثة هي أيديولوجية إمبريالية تعبر عن عصر الاستهلاك وتعلن موت الإنسان بعد موت الإله، وتنكر وجود

[1]– عبد الواحد يحي،شرق وغرب، ص ص88-89.

[2]– بول فييرابند، طغيان العلم: ما العلم ؟ وما حدوده وأدواته؟ تر: مركز دلائل ، ط1 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، (د.ن)، 1438هـ ، ص206.

[3]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص 68.

[4]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص ص109-110.

أي مركز، وتنفي أية مرجعية من أي نوع، فهي حرية كاملة وخضوع كامل لقانون الصدفة. وهي منظومة فلسفية تخلّصت تماما من الفلسفة والإنسان والمطلقات. فهذه السيولة (الفلسفية) هي السمة الأساسية للرؤية العلمانية في العصر الحديث، عصر الاستهلاكية العالمية. والتي تتمثل في الغياب التام لكافة المرجعيات، وهذا يعني غياب الأديان ودورها في حياة الإنسان، وتآكل الذات وفقدانها لحدودها، وتآكل الموضوع وفقدانه لحدوده، وهيمنة النسبية المعرفية الأخلاقية، ومن ثَمَّ استحالة الوصول إلى فكرة الكل، سواء كانت هي فكرة الإله أم الأخلاق المطلقة أم الطبيعة البشرية، أساس الأنطولوجيا الغربية[1].

لقد برر الغرب تسلطه على العالم ،ونهبه لثرواته، وقمعه لحرياته باختلاقات كثيرة ، منها ما كان باسم رسالته في قيادة العالم، ومسؤوليته في نشر الحضارة[2]. فالعصر الحديث، عند عبد الواحد يحي، يمثّل العصر المظلم، والذي يمثل بداية القطيعة مع التراث الروحي العرفاني في القرن الرابع عشر ميلادي، لا كما يعتبره الغربيون، أو ما يسمى بـ"عصر النهضة" في مقابل العصور الوسطى المظلمة؛ بحيث يصورونه العصر الذي تحرر فيه العقل من التراث والتقاليد وسطوة الكنيسة وسيطرة الدّين ؛ هو في الحقيقة "عصر الظلام" أو هو مرحلة من مراحل "التعتيم للروحانية"، والذي يسمى بـ"الإصلاح الديني"، ما هو في الحقيقة إلا "الانحراف الديني "في أعتى صوره، وسبب الانحطاط الفكر الديني كان من البروتستانتية[3].

المطلب الثالث: مظاهر هيمنة الكم في الحضارة الغربية

إنّ الحضارة الغربية هي الحضارة التي تسلك المسلك المادي المحض، فالتقدم الغربي في الجانب المادي قد طغى على الجانب العرفاني، بل أنكره أصلا، وهذا لاشك سيؤدي بالحضارة الغربية إلى وقوعها في أزمة تنذر بزوالها، فالنزعة الفردانية ووهم المساواة والديمقراطية متطابقة تماما مع العقلية

[1]– عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص145.

[2]– روجيه جارودي، حفارو القبور ، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر: عزة صبحي، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2002م، ص23.

[3]– رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص) ، ص110.

المضادة للتراث ذاته ومظاهرها المتعددة ،في جميع الميادين ، ويشكلون من أهم عوامل الفوضى في عصرنا ،وسنحاول التطرق إلى بيان هذه المظاهر.

الفرع الأول: هيمنة الكم والنزعة الفردانية

الفردانية هي نزعة تعطي الأولوية للفرد في كل المجالات ، وتتجلى هذه النزعة في المجال الاجتماعي من خلال العناية بتنمية فكر الإنسان وقدراته وثقافته بحيث يرجع تفسير الظواهر الاجتماعية والتاريخية إلى تدخل الأفراد. أما في المجال السياسي هو مذهب يدعو إلى تضييق سلطة الدولة وتوسيع نشاط الفرد، أي أن قيمة الفرد أعلى من قيمة المؤسسات، لأن الفرد هو الغاية[1].

أما عبد الواحد يحي فيعرفها بقوله: "إنّ ما نعنيه بكلمة "فردانية" "l'individualisme" هو الإنكار لأي مبدأ أعلى من الفردية، وبالتالي فهو اختزال لجميع ميادين الحضارة، في نطاق العناصر البشرية (الإنسانية) الصرفة، إنها تعني، إذا، في جوهرها الشيء نفسه الذي كانت تعنيه، في عصر النهضة كلمة "النزعة الإنسانية"[2].

فهو يعتبر الفردانية متماثلة ومتساوية مع الإنسانية مدلولا ومقصدا، فكل منهما تجعل الإنسان مركزا للوجود ،لقد انتهت الفردانية الإنسانية، إذا، إلى أن تجعل، كما يقول عبد الواحد يحي "لم يبق شيء ولا شخص في الموقع السوي الذي ينبغي أن يكون فيه، والناس لم يعودوا يعترفون بأيّة سلطة فعلية في الميدان الرّوحي ،ولا أي حكم شرعي في المجال الزمني، وأباح "العوام" لأنفسهم الجدال في الأمور المقدّسة، والاعتراض على طابعها بل على وجودها، وأمسى الأدنى يحكم على الأعلى، والجهل يفرض حدودا على الحكمة، والخطأ متغلّب على الحقيقة، واستبدل ما هو إلهي بما هو بشري، واستعلت الأرض على السماء، ووضع الفرد نفسه ميزانا لكل شيء، مدّعيا أنه يملي على الكون قوانين مبتدعة من عقله النسبي المعرض للخطأ"[3].

لقد انتهت الفردانية عند عبد الواحد يحي، إلى تراتبية منحرفة غارقة في الشذوذ تم فيها تبادل الأدوار بشكل هابط إلى أسفل، بدلا من أن يصعد إلى أعلى، ما يؤكد أن الدورة الزمنية التي تمر

[1]– جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، ص323.

[2]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص67.

[3]– المصدر نفسه، ص80.

بها الحضارة الغربية، توشك على التوقّف، لتعلن إما عن نهاية هذه الحضارة أو عن دورة زمنيّة جديدة.

فالقول بالانفرادية يعني ضرورة رفض الاعتراف بوجود سلطة أعلى من الفرد وكذلك رفض الاعتراف بوجود ملكة للمعرفة أسمى من العقل الفردي، وهما رفضان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، كما رفضت التسليم لأي تنظيم تراثي يعتمد بالأساس على تلك السلطة[1]. والفردانية تقتضي إنكار الإلهام الروحاني، والوحي الإلهي على اعتبار أنه ملكة "فوق فردية"، وإنكار المجال المعرفي الخاص بهذا الإلهام أي: الميتافيزيقا بمفهومها الحقيقي[2]. وإنكار المبدأ الروحي ينجر عنه مباشرة تفكيك كل ما يستحق اسم تراث، فالثورة ضد التراث واقعة في الميدان الديني، من خلال تجسد وتبلور المذهب البروتستانتي حيث تظهر الانفرادية بمظهرها الجلي، فمبنى البروتستانتية هو نفس مبنى العالم الحديث ،حيث تبرز الفوضى والانحلال[3].

1– البروتستانتية والنزعة الفردانية:

لقد تمكنت ثورة الإصلاح الديني من إسقاط هيمنة رجال الكنيسة ، وبدعة صكوك الغفران، وافتتحت البروتستانتية، التي في رأي عبد الواحد يحي ليست سوى الانفرادية عينها مطبقة في الميدان الديني[4]؛ فالمجال للاجتهاد العقلي تحت "اسم حرية التفكير الديني"[5]، التي هي مماثلة للعقلانية في الميدان الفلسفي؛ وبهذا سقط الدين وأصبح مجرد "مزاولة" أو عادة مع الإصرار على عدم محاولة فهم أي شيء، لقد صار مجرد نزعة "أخلاقوية[6]"[7]، وبفقدان الدين للعناصر العرفانية انجر عنه "تظاهر عاطفي بالتدين"[8].

---

[1]– المصدر السابق، ص ص 67-68.

[2]– المصدر السابق، ص68 .

[3]– المصدر السابق، ص72 .

[4]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[6]– الأخلاقوية: هي أخلاق مزعومة، لا تستند إلا إلى عواطف نفسية نسبية، ويدّعيها حتى الملاحدة. ينظر: عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص73.

[7]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص77.

[8]– المصدر نفسه، ص73.

وهكذا تحول الموقف من الدين من مستوى النقد إلى التحريف والتشويه ثم انتهى إلى انتهاك قدسيته بالرفض الكليّ كما يقول عبد الواحد يحي، حيث ألغت الأخلاقوية البروتستانتية كل قاعدة عقيدية، وآلت إلى ما يسمى بالأخلاق العلمانية[1]، بحجة حرية التفكير، و تحول الدين بذلك إلى آراء واعتقادات شخصية، ويظهر هذا من خلال قول عبد الواحد يحي: "بما أنّ الدين أحد أشكال التراث، والعقلية المضادة للتراث لا يمكن إلاّ أن تكون إلاّ معادية للدين، وهي تبدأ بتشويه الدّين لتنتهي إلى إلغائه"[2].

لقد سعت البروتستانتية إلى "أنسنة" الدين، بمعنى إباحة الاجتهاد فيه وفقا لأهواء الأفراد بلا اعتبار للكفاءة[3]. وهذا ما حدا بعبد الواحد يحي لنقد البروتستانتية التي جعلت من المسيحية التقليدية ديانة تكاد تكون إنسانية صرفة. فهو يرى" أنّ البروتستانتية غير منطقية لأنّها، على الرغم من اجتهادها لأنسنة الدين، تواصل الحفاظ، نظريًّا على الأقل، على عنصر فوق–بشري هو الوحي، إنها لا تجرؤ على الإيغال في الإنكار إلى منتهاه، لكن، باستباحة هذا الوحي في كل المناقشات الناجمة عن تأويلات وتفسيرات بشرية فردية صرفة، هي تنزل به، فعليا و تختزله، إلى أن يؤول في الواقع ، إلى لا شيء"[4].

وهذا ما أدّى إلى اجتياح موجة الإلحاد الحضارة الغربية وحداثتها وما بعد حداثتها، بعد ترسيخ هذه النزعة، وهو ما جعل عبد الواحد يحي يعتبر البروتستانتية نموذجا للدين المشوّه الذي تتجلى فيه الفردانية بشكل واضح، يقول:"من الطبيعي أن تتولد من البروتستانتية، بطابع الإنكار المحرك لها، النزعة النقدية الهدّامة التي صارت بين أيدي "مؤرّخي الأديان" المزعومين سلاح حرب ضد كلّ دين"[5].

2– النزعة الفردانية كأساس للحداثة الغربية:

وهكذا تحمل الحداثة وما بعد الحداثة الغربية عدة معان أهمها نهاية التاريخ ونهاية للقيم الخلقية المتعارف عليها، وموت الإله وموت المعنى. وتحول الإنسان إلى مادة استعمالية، وإلى كائن

[1]– المصدر السابق ، ص74

[2]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[5]– المصدر السابق، ص75.

ذي بعد واحد، تحركه الدوافع المادية وأهمها الدافع الاقتصادي والدافع الجنسي، ولذا فالمصالح الاقتصادية والبحث عن اللذة، التي لا تتجاوز عالم المادة والحواس الخمس ولا تصل إلى عالم التطلعات والأسرار والأشواق ، هي المحرك الأول والأخير لسلوكه، وهي المرجعية النهائية لوجوده[1].

فالفردانية، "هي محاولة ترشيد الإنسان وتنميطه في إطار المرجعية والأحادية المادية، ويقصد بالترشيد هو إعادة صياغة المجتمع والإنسان على هدى القوانين العلمية المادية الصارمة الكامنة في المادة والمتجاوزة للإنسان"[2]. وقد تمثلت الفردانية، في الحداثة وما بعدها من خلال ضرب الكنيسة، وتهميش الدين، والقضاء على الأسرة، وتم تكييف الإنسان على أساس الوظيفة العامة، لا الوظيفة مع الإنسان، وهو ما يسمى "الأحادية الوظيفية"، أي حيث يعرّف الإنسان في ضوء الوظيفة والدور، لا في ضوء إنسانيته الكلية المتعينة[3].

وبحسب تصور عبد الواحد يحي، يمكن القول أن كلّ الانحرافات التي عرفتها الديانات التوحيدية الكبرى – وهو يقصد هنا اليهودية والنصرانية بالذات – كانت بسبب فقدانها للمبادئ التراثية التي تعتبر المفتاح الذي يتم به الولوج إلى جوهر الدين. فإذا غابت المبادئ سيكون فهم الدين صعبا وستتلاعب به الأهواء والآراء الفردية. والحل بالنسبة لعبد الواحد يحي إيكال مهمة الكشف عن معناه واستجلاء مقاصده إلى إعادة تكوين "الصفوة"[4]. التي عبّر عنها عبد الواحد يحي بالنخبة العالمة المتشبعة بالتراث الروحاني والعرفاني الديني الأصيل كما يتجلى في صورته الكاملة في الإسلام، في درجة الإحسان التي سأل عنها جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ما يصطلح عليها أيضا بالتصوف. ولعلّ هذا ما جعل معظم الدارسين الأوربيين لأعماله يهتدون إلى الإسلام، وأصبحوا اليوم يمثلون طلائع هذه الصفوة التي كان ينشدها عبد الواحد يحي.

إن الفردانية، عند عبد الواحد يحي، لا تتلاقى مع الروحانية، لأن الأولى تنزع إلى أسفل، أما الثانية فتصعد إلى أعلى. النزعة الفردانية الإنسانوية بالنسبة لعبد الواحد يحي هي إقصاء للميتافيزيقا بمعناها الحقيقي الخالصة، باعتبارها معرفة بالمبادئ، أي بالثوابت، في حين أن الفردانية

[1]– عامر عبد زيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحنُ والغرب ،مقاربات في الخطاب النقدي الاسلامي، ص ص 284–285 .

[2]– عبدالوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص134.

[3]– المرجع نفسه، ص136.

[4]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص91.

التي تنتصر لها الحضارة الغربية هي معرفة بالمتغيرات، ما يجعلها معرفة نسبية[1]، يقول عبد الواحد يحي: "الفردانية إنكار للحدس العقلي، لكون هذا الأخير، أساسا، ملكةً فوق–فردية، وكذلك إنكار مرتبة المعرفة التي هي المجال الخاص بهذا الحدس، نعني بذلك الميتافيزيقا الحقيقية"[2]. فالفردانية، في رأي عبد الواحد يحي، بهذا المعنى لا يمكنها الارتقاء إلى المعرفة التقليدية التراثية التي هي، في الأصل معرفة من طراز روحي خالص لا يمكن النفاذ إليها واستكناه باطنها إلاّ بالبصيرة وهذه لا تؤتى للجميع، إنّها لا تؤتى إلاّ لأولئك الذين تجردوا من كل اللوازم السفلية، أي الصفوة ، حتى يحصل لهم الارتقاء إلى أعلى مرتبة في المعرفة الوجودية وهي مرتبة العلم المقدس "Science Sacrée"، وذلك من خلال التدرج في المعرفة والانتقال من العلم الدنيوي "Science profane" إلى العلم المقدس بممارسة النشاط المزدوج والمتكامل "النظر" و"العمل"، أو بعبارة أخرى "التأمّل" و"النشاط الظاهري"[3].

إنّ نمط المعرفة الحديث قد فكك الوحدة إلى كثرة لامتناهية، فبدلاً من الحقيقة الموصولة بالمبدأ الأعلى حيث اليقين، نصبح أمام حقائق متكّثرةّ ، بتعدد الأنفس، فنسقط في النسبيّة، وهنا يبدأ التشتّت ويضيع الفكر في متاهة التعدد، وهو الأمر الذي حدا بعبد الواحد يحي إلى اعتبار الفلاسفة نموذجا لانحرافات الفردانية، بما يثيرونه من سجالات واستشكالات لا تنتج إلاّ العقم ولا ترنو إلى يقين، فيظل العقل سابحا في محن الشك والريبة، لأنّه يؤوّل الأعلى انطلاقًا من الأدنى، فينتهي إلى فوضى، وهذا ما يحيلنا إليه قوله عن الفلاسفة:"عند الفلاسفة، نستطيع أن نرى، بأجلى صورة، الفوضى العقلية والفكرية التي هي نتاج هذه الفردانية"[4].

فخلاصة القول عند عبد الواحد يحي أنّ النزعة الفردانية هي السبب الحاسم في الانهيار الراهن للغرب[5]. إن هذا الحال ينذر بفناء الدّيني المقدس ليحل محله الدنيوي المدنّس، ومعه تغرق الحضارة الغربية وتنحدر إلى الهاوية، وبالتالي تكُسر التراتبية الوجودية ، فتنزاح مملكة السماء لتحل مملكة الأرض.

[1]– المصدر السابق، ص68.

[2]– المصدر السابق، ص78.

[3]– المصدر السابق، ص44.

[4]– المصدر السابق، ص79.

[5]– المصدر السابق، ص67.

الفرع الثاني: هيمنة الكم ووهم المساواة والديمقراطية

1– وهم المساواة:

سعت الحضارة الغربية الحديثة إلى تعميم كل ما يتعلق بالحياة المعرفية والاجتماعية، لتكون في متناول الجميع، بدون استثناءات، فتزول الفوارق على المستوى المعرفي والاجتماعي، فتصبح المعارف والعلوم على اختلاف مستوياتها ملكا للجميع، بدون مراعاة لقدرات الفهم والاستيعاب للأفراد، وتزول الطبقية الاجتماعية. وقد تم هذا الحرص في التعميم تحت شعار"المساواة".

باسم هذه المساواة المزعومة التي هي من أعز المثل العليا المنكوسة للعالم الحديث[1]. يعترض عبد الواحد يحي عليها وينتقدها: "هذه المساواة لا تعطي الطبيعة عنها ولو مثالاً واحداً"[2]. ويضيف: "إنّ الحكم المسبق الوهمي بوجود المساواة يناقض الوقائع الأتم ثبوتا، سواء في المجال العقلي والفكري ،أو في الميدان المادي والطبيعي؛ وهو نفي لكل تراتب طبيعي، وإهانة لكل معرفة بإهباطها إلى مستوى فهم العامي في حدود ضيقة"[3]. بمعنى أن العلم المقدس (التراثي) الذي يُدرس في المدارس والجامعات بالمناهج نفسها التي تدرّس بها العلوم الدنيوية الحديثة والتي هي صناعة بشرية ، مما أدى إلى إنزال العلم المقدس إلى مرتبةّ دنيا، وهذا بحجة دعاية "التعليم إلزامي" و"منافع التعليم" التي ينادي بها مبدأ المساواة ،ممّا أدّى إلى قطع لكل تعليم سابق بمعنى تدمير للروح التراثية[4].

يرفض عبد الواحد يحي "التماثل المطرد"، بمعنى التطابق والتماثل الكامل، "لأنّ إمكانية وجود التماثل المطّرد يفترض كائنات خالية من كلّ نعت ، فلم تعد سوى وحدات عددية مجردة، ومثل هذا التماثل لا يمكن تحقيقه بالفعل أبدا، غير أنّ كل المجهودات المبذولة لتحقيقه، خصوصا في المجال الإنساني، لا يمكن أن تعطي من نتيجة سوى تجريد الكائنات من أوصافها المميزة، تجريدا قد يزيد أو قد يقل، بحيث تكون أشبه بالآلات العادية، لأن الآلة هي المنتوج المميز للعالم

[1]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص65.

[2]– المصدر نفسه، ص65.

[3]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص87.

[4]– المصدر نفسه، ص ص89-90.

الحديث، هي ما يمثل حقا أدنى الدركات التي أمكن حتّى الآن إدراكها، تغلب الكم على الكيف"[1].

إنّ المساواة وهمٌ خادع، وهي تخنق المواهب، بدعوى إخضاع الجميع لتربية متماثلة؛ فأساليب التعليم المتبعة تجعل من الذاكرة تحل محل الذكاء، بمعنى تكديس المعلومات، وتعتبر كثرة النقل والتجميع على أنها هي العلم الحقيقي[2].

وفي واقع الأمر فإنّ المساواة تعتبر تسوية وهي شكل من أشكال العداء للإنسان، لأنه يعنى التسامح الذي ينادي به الخطاب العنصري للحضارة الغربية، ويكون بعدم الاكتراث بالهوية أو بخصوصية الآخر. بل هو تعبير عن لا إنسانية الإنسان، فالمطلوب من الإنسان أن يصبح إنسانا طبيعيا عاما ليس له حدود إنسانية خاصة، إنسانا مرنا، ويتسم بأنّ دوافعه واحتياجاته طبيعية مادية، ومثل هذه الدوافع والاستجابات تدخله في عالم الأشياء الطبيعية وتجعل منه إنسان ذو بعد واحد لا يمكنه تجاوز واقعه المادي[3]. وخير مثال ما حدث في فرنسا لعدم تقبلهم للمسلمين كمسلمين، وأن تقبلهم مرهون بترشيدهم وعلمنتهم، أي أشخاص طبيعيين ومادة لا طعم ولا لون ولا رائحة لها[4].

المساواة هي أحد مظاهر الكم المهيمن في الحضارة الغربية لأنها تركّز على العدد، ولا تهتم بالكيف، فعبد الواحد يحي يؤكد في قوله: "في أدنى الدركات التي أمكن حتى الآن إدراكها، تغلّب الكم على الكيف، وإلى هذا تتجه فعلا بالأخص في الميدان الاجتماعي، المفاهيم "الديمقراطية" و"المساواة" التي تزعم أنّ جميع الأفراد متكافئون فيما بينهم، وهذا يجر إلى الافتراض اللاّمعقول العابث بأنّه يجب أن يكون للجميع نفس الأهلية لأي أمر"[5]. وفي الأخير يؤكد عبد الواحد يحي أن لا وجود للمساواة في أي مكان، لسبب بسيط، وهو أنه لا يمكن وجود كائنين مختلفين حقا ومتماثلين تماما من جميع الوجوه[6].

---

[1]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص65.

[2]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص 89.

[3]– عبد الوهاب المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ص188 .

[4]– المرجع نفسه، ص191.

[5]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص65.

[6]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص82.

2– وهم الديموقراطية:

أما فيما يخص الديمقراطية فهي شكلٌ آخر من أشكال المادية ومظهر من مظاهر تغلب الكم على الكيف لاسيما في الميدان السياسي. وهي التي تعطي السلطة للشعب، معتمدة على الأغلبية مما يستلزم استبعاد كل كفاءة حقيقية، لأنها تمثل دائما تفوقا ولو نسبيا على الأقل، ولا تحظى بها إلاّ أقلية[1]. إن الاعتماد على رأي الكثرة، يعني الاهتمام بالعدد على حساب النوع، وبالتالي تتراجع الكفاءة، وتضيع الصفوة داخل المجموع الحسابي الكمي، هنا تتجلى الفوضى والالتباس ، إذ يُقصى رأي الأقلية بحجة عدم توافقها مع رأي الأغلبية، فتميل الكفة لرأي الأكثرية وإن كانت على خطأ، ولا يؤخذ برأي الأقلية وإن كانت على صواب، يقول الله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[سورة النحل:43].

يحتج عبد الواحد يحي ، بأنّ الديمقراطية وهم خادع فلا يمكن للأعلى أن ينبثق من الأدنى. فمن الواضح أنّ الشعب لا يمكنه تفويض سلطة لا يمتلكها، والسلطة الحقيقية لا يمكن أن تأتي إلاّ من أعلى، ولهذا لا يمكن أن يكتسب شرعية إلاّ بتخويل صادر من مستوى أسمى من النطاق الاجتماعي، أي من سلطة روحية. وإن حدث العكس، فما هي إلاّ سلطة مزورة لفقدانها للمبدأ، ولا ينجم عنها سوى الفوضى والالتباس[2]. فيحصل الهدم لكل تراتب يبدأ حالما يريد الحكم الزمني أن يستقلّ عن "السلطة الروحية"[3]، ثم إخضاعها تحت هيمنته لتوظيفها لأغراض سياسية ، وفي هذا اغتصاب للسلطة ويفتح الطريق أمام كل التجاوزات"[4].

يستعمل الخطباء على الجماهير سلطان الكلمات لخلق وهم بالفكر، أو ما يسمى "بالنزعة اللفظية" وهي وسيلة للإيحاء [5]، لأنها هي الوحيدة التي تجعل خطابهم يحظى بالقبول والاقتناع،

---

[1]– المصدر السابق، ص84.

[2]– المصدر السابق، ص85.

[3]– السلطة الروحية: هي قدرة روحية عرفانية، باطنية بالأساس، ولا يفرض وجودها إلا حضورها دون أي سند حسي، وتتصرف بكيفية خفية لطيفة، قد لا تُرى في الظاهر. ينظر: عبدالواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني، ص ص28–29.

[4]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص85.

[5]–المصدر نفسه، ص83.

والطاعة في الأخير، لأنه خطاب يلامس العاطفة لدى الجمهور، ولا يخاطب العقل والروح، لذلك يعتبر عبد الواحد يحي "كل الخطب العاطفية والمجادلات الحزبية ما هي إلاّ اختيارات فردية"[1].

إنّ الديمقراطية عند، عبد الواحد يحي، مليئة بالمغالطات. ولخلق هذا الوهم ابتدعوا "الانتخاب العام"[2]، الذي يدّعي أنّه يمثل رأي الأغلبية، والذي يجهلونه أن هذا الرأي يمكن تسييره وتغييره بواسطة إيحاءات مناسبة ، يمكن تغيير المنحى المراد الوصول إليه[3]. فتعم الفوضى الاجتماعية.

وللانفلات من الفوضى التي يتخبط فيها العالم الغربي، وجب إدانة غرور وأوهام "الديمقراطية" و"المساواتية"[4]. الفوضى أصبحت تهيمن، فنحن في مرحلة من مراحل تاريخ البشرية، توشك فيها الحضارة الغربية أن تنتحر لفقدانها للهدف، ولإفراط الوسائل ، ورجحان اللانهائي الكمي[5].

إنّ الديمقراطية تقوم على القانون المعتمد على رأي الأغلبية بمعنى على العدد الأكبر، هو بكلّ بساطة قانون المادّة والقوّة الباطشة ،إنّه الانتكاس التام للوضع السوي للأمور، وإعلان عن تفوق الكثرة، وهو تفوق لا وجود له إلاّ في العالم المادي .على غرار العالم الروحي حيث تحتل الوحدة قمّة السّلم الوجودي، لأنها هي المبدأ الذي تنبثق منه كلّ كثرة، وإذا حصل الإنكار للمبدأ، لا تبقى سوى الكثرة الصرفة، المتطابقة مع المادة نفسها[6].

يعتقد عبد الواحد يحي أنّ فكرة الديمقراطية جاءت نتيجة إنكار وجود صفوة، بمعنى قليلة العدد ، فضحّت بها الديمقراطية لصالح الأغلبية، أي ضحّت بالكيف لصالح الكم[7].

---

[1]– المصدر السابق، ص85.

[2]– المصدر السابق، ص86.

[3]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[4]– عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني،ص97.

[5]– روجيه جارودي، في سبيل حوار الحضارات، تر: عادل العوّا، ط4، لبنان ، بيروت، عويدات للنشر والطباعة ، 1999م، 1999م، ص37.

[6]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث ، ص ص87-88.

[7]–المصدر نفسه ، ص90.

إنّ غياب المبدأ الأعلى الذي يوحد التوجهات السياسية ، هو ما يثير كل تلك الفوضى الاجتماعية، في حين أنّه عندما ترتبط الممارسات السياسية بالمبدأ الأعلى، فمهما تعددت الوسائل، ستنتهي إلى غاية واحدة وهي خدمة الجانب الروحي باعتباره هو الوحيد الذي يوحد، ويقضي على التشتت والفوضى؛ في حين تظل الديمقراطية شكلاً دنيويًّا عاجزا عن بلوغ الهدف المرجو."[1]

من أجل أن تحقق الحضارة الغربية التماثل والتطابق المطرد ضحّت بكل ما هو علوي مقدس، ليبقى كل شيء في مستوى سفلي دنيوي، بل إنّها من خلال مبدأي الديمقراطية والمساواة دمرت التراث الروحي. وللخروج من هذه الفوضى، يجب استعادة التوجه العرفاني المستبصر، من خلال إعادة تكوين الصفوة التي لا وجود لها في العالم الغربي الحديث[2].

إنّ عبد الواحد يحي يريد أن يجمع بين الكم والكيف، أي بين المادي والروحاني، على اعتبار التكامل بينهما، فالمادي ليس ضدا للروحاني، والروحاني ليس إقصاء للمادي. وهذه الاستماتة بالنهوض بالحضارة الغربية من الهاوية التي سقطت فيها ،ومحاولة لملمت أوصالها التي تقطعت جرّاء فصلها الكم عن الكيف أو بعبارة أخرى، رفضها للجمع بين المادية والروحانية؛ جعل الكثير من العلماء والمفكرين يشيدون به، لدرجة أن قيل: "أنّ أوروبا قد عرفت في عصرها الحديث أعجوبتين فكريتين مهمتين، هما نيتشه وغينون، رجلان لا يمكنك أن تكون بعد قراءتهما كما كنت من قبل ذلك. الأول يؤدي بك إلى الجنون، والثاني يقودك إلى الإيمان ، ولا عجب أن يصف الكاتب الروسي ألكسندر دوغين في كتاب له عن غينون سماه: جينو نبيّ العصر الحديث الجديد، بأنه استطاع أن ينقل المعركة بين النزعتين الدينية والمادية من أرض الأولى إلى أرض الثانية"[3].

وهكذا نخلص إلى أننا حاولنا أن نكشف عن جلّ الجوانب والأسباب التي كونت أزمة الحضارة الغربية، والتي حاول عبد الواحد يحي تحليلها وتشريحها، لإيجاد الدواء، وإعادة ترميم أوصالها الذي قطعها انحرافها نحو المادية "الكم". فما هو البديل الذي قدمه عبد الواحد يحي

[1]– المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

[2]– المصدر السابق، ص91.

[3]– خالد محمد عبدو، من رموز العلم المقدس "رينيه جينو" René Guénon ، الشيخ عبد الواحد يحي في المصادر العربية الحديثة، (د.ط)،(د.ن)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، (د.ت)، ص ص 7-8.

كمخرج لتلافي سقوط وتلاشي الحضارة الغربية، ولإعادتها للمسار الصحيح؟ هذا ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي.

المبحث الرابع

إعادة إحياء التراث الروحي في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى

المطلب الأول: إصلاح التراتبية الوجودية للحضارة الغربية

المطلب الثاني: إعادة التواصل بين الشرق والغرب والاستفادة من التراث الروحاني الشرقي

المطلب الثالث: إعادة بعث الصفوة الروحانية في الحضارة الغربية

إعادة إحياء التراث الروحي في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى

بعد أن حاولنا التعرف في المبحث الثالث على أهم الجوانب و المرتكزات التي شكلت الخلفية المعرفية والفلسفية والاجتماعية لأزمة الحضارة الغربية، لتنتهي بها في فوضى التشتُّت وفقدان المبادئ و السقوط في هاوية المادية من وجهة نظر عبد الواحد يحي ، سنحاول في هذا المبحث – إن شاء الله تعالى – أن نسلط الضوء على أهم البدائل والحلول التي أقترحها عبد الواحد يحي للحضارة الغربية للنهوض بها من أزمتها؛ وذلك من خلال ثلاث نقاط أساسية في وجهة نظر عبد الواحد يحي هي: إعادة إصلاح التراتب الوجودي للحضارة الغربية، وإعادة التواصل بين الشرق والغرب والاستفادة من التراث الروحاني الشرقي ، و العمل على إعادة بعث الصفوة الروحانية في الحضارة الغربية. ولا يخفى ما لهذا المسلك من أهمية في محاولة إيجاد الحلول وتوجيه هذه الحضارة التي انحرفت عن مسارها ؛ بغية إنقاذها.

المطلب الأول: إصلاح التراتبية الوجودية للحضارة الغربية

قد يبدو للبعض أن عبد الواحد يحي، كان شديدا من ناحية تحليله ونقده للحضارة الغربية؛ لكن الذي يتفحص كتاباته سيدرك أن ما كتبه فيه كل الإنصاف؛ لأنه لا يريد أن يهدم حضارة الغرب، ولكنه يسعى إلى إنقاذها بكل طاقته وهو يرى أن عودتها إلى الدين الصحيح وإصلاح التراتب الوجودي المنكوس بها ، هو السبيل القويم لتحقيق توازن في مسيرة هذه الحضارة، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المطلب.

لإصلاح التراتبية المنكوسة في الحضارة الغربية، يجب كما يؤكد عبد الواحد يحي "إحياء وإعادة إنشاء التراث الديني للغرب في صورته الكاملة ، لكي يمكن توظيفه."[1] أو بمعنى آخر" إحياء تراث غربي، لأنه الوسيلة الوحيدة للخروج من الأزمة الراهنة"[2].فما المقصود بالتراث؟

[1]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص192.

[2]– عبد الواحد يحي ، أزمة العالم الحديث، ص27.

من سمات العصر الحديث تزييف الأمور، في منظور عبد الواحد يحي، بما في ذلك تزييف اللغة، أي الاستعمال التعسفي والمفرط لبعض الكلمات التي تصرف عن معناها الحقيقي[1]، وهذا ما حدث لمفهوم التراث، "فكلمة تراث طبقت على شتى الأمور من كل نمط بلا تمييز، مثل عادات خالية من كل مضمون أو ذات أصل حديث جدّا"[2] . وهذه انحرافات لغوية ، لدرجة أن جعلت مرادف لكلمة "التقليد" أو "العوائد"، وهذا ما انجر عنه خلط بين التراث الروحي والأمور البشرية الأكثر انحطاطا والخالية من كل معنى عميق.

كما يقول أبو الحسن الندوي ،"أن من أبرز سمات ومميزات الحضارة الغربية المادية ، التدجيل ، والتلبيس على الناس ، وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وتمويه الحقائق، وإطلاق الأسماء البراقة الخلابة للعقول على غير مسمياتها، كالمساواة، والحرية ، وهذا شأن الشعارات والفلسفات التي حلّت محل الاديان"[3]. ويضيف أبو الحسن الندوي بلسان محمد إقبال "إن الغربيين فقدوا القيم الروحية و الحقائق الغيبية وذهبوا يبحثون عن الروح في المعدة"[4].

ولهذا يعرف عبد الواحد يحي التراث بأنه: "ما يستلزم من طراز فوق بشري، أي لا يُعتبر تراثا أصيلا إلا ما كان مرتبطًا بالوحي الإلهي "[5]؛ فكل ما هو من نمط بشري صرف لا يصح لهذا السبب أن يوصف شرعا بأنّه تراثي أصيل.[6]" هذا يعني أن التراث، عند عبد الواحد يحي ، هو من طراز روحي ، لا مادي. فالتعابير الشائعة اليوم من طراز "التراث الفلسفي"و "التراث العلمي" و التراث السياسي،"و "تراث قومي" تعابير مشوهة لمفهوم التراث الأصيل[7]، إذ لا يوجد إلاّ تراث أصيل واحد، هو ذلك الموصول فعلا بالوحي الإلهي الحقيقي.

ولتوضيح المقصود بـ "التراث "يستشهد عبد الواحد يحي بالنظام الإسلامي حيث يقول:"النظام الإسلامي ككلّ قائم على تراث ديني، وليس حاله في ذلك حال أوروبا اليوم، والتي

[1]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص229.

[2]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص36.

[3]– أبو الحسن الندوي، المسلمون تجاه الحضارة الغربية،، ط1، جدّة، دار المجتمع، 1987م ، ص19.

[4]– المرجع نفسه، ص30.

[5]– عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، ص231.

[6]– المصدر نفسه، ص ص231-232.

[7]– المصدر نفسه، ص232.

تعتبر الدين عنصرا واحدا من عناصر النظام الاجتماعي؛ فالعكس هو الصحيح في الإسلام، حيث النظام الاجتماعي بالكامل جزء جوهري من الدين، ولا تنفصل عنه كافة التشريعات، حيث تجد فيه المبدأ والمبرر" [1]. فالعلاقة بين الدين والنظام الاجتماعي في كلا الحضارتين، الغربية والشرقية الإسلامية، هي علاقة جزء بكل، لكن في الحضارة الغربية يمثّل النظام الاجتماعي الكل، مما يؤدي إلى أنّ الدين خاضع للنظام الاجتماعي وتابع له، بدلاً من أن يحصل العكس، وهذا القلب في العلاقة، هو علامة على انحراف الحضارة الغربية. أما الحضارة الشرقية، فهي على النقيض، تضع النظام الاجتماعي جزءا من الدين، باعتباره الكل، فهو الثابت، أما النظام الاجتماعي فهو دنيوي ،نسبي، متغير. لذلك نجد الحضارات الشرقية ، وبالخصوص الإسلامية في كل تشريعاتها السياسية الاقتصادية والأسرية ، هي تشريعات مستمدةٌ من أعلى، لا من أسفل.

"فالتراث الروحي ليس بالأمر الذي يمكن اختراعه أو إنشائه بكيفية اصطناعية واجهاد النفس في تجميع عناصر مستعارة من مذاهب مختلفة ،لا ينتج أبدا إلا تراثا مزيفا خال من كل قيمة ومن كل بعد . ومثل هذا التصرف يدل علي الجهل بحقيقة التراث الروحي العرفاني، وعدم فهم المعنى الصحيح والعميق لتلك العناصر التي يجتهد في تجميعها".[2]

إن تفوق النشاط الظاهري (الفعل)على التأمل في الحضارة الغربية الحديثة، كان وراء إنكار المعرفة الميتافيزيقية، التي هي من طراز "فوق عقلي"، وهي المعرفة الاستبصارية الخالصة أي المعرفة بامتياز[3] .باعتبارها نشاط تأملي، وذلك على العكس، كما يؤكّد عبد الواحد يحي، التي مع تأكيدها الواضح على هيمنة التأمل بل وتساميه على النشاط الظاهري (الفعل)، "المذاهب الشرقية، وكذلك المذاهب الغربية القديمة، كلها مجمعة على تأكيد أنّ التأمل الروحي أسمى من النشاط الظاهري، مثلما يسمو الدائم الثابت على المتغير النسبي"[4]. فعبد الواحد يحي لا يعترض ولا ينفي الفعل قيمته، بل يعترض على الإفراط الذي تسقط فيه العقلية الغربية الحديثة عندما تنكر فيه قيمة التأمل بتجاهلها أو بجهلها حقيقته.[5]

---

[1]– رينيه جينو، مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية (والهندوسية بوجه خاص)، ص66.

[2]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص193.

[3]– المصدر نفسه ، ص141.

[4]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث،ص47.

[5]– المصدر نفسه، ص46.

إن هيمنة الفعل على التأمل هي هيمنة للكم على الكيف. ومن نتائج هيمنة الفعل على التأمل في حضارة الغرب الحديث توسيع الفرقة بين الغرب والشرق، كون التأمل هو ما يميز الحضارة الشرقية. فإحياء التراث الأصيل الحقيقي كفيل بتصحيح المسار المنحرف للحضارة الغربية. ولاستعادة التراث المفقود وإحيائه لا بد من الاتصال بروح التراث الحي، وفي الشرق وحده لا يزال هذا التراث حيا متألقا في عنفوانه [1]. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا قامت الحضارة الغربية بخطوات التقارب الأولى نحو الشرق[2]. وهو حل اقترحه عبد الواحد يحي للنهوض بالحضارة الغربية من أزمتها، وهذا ما سنتطرق إليه في المطلب الموالي.

المطلب الثاني: إعادة التواصل بين الشرق والغرب والاستفادة من التراث الروحاني الشرقي

من الحلول التي طرحها عبد الواحد يحي في "إصلاح الغرب"، هو أن هذا الإصلاح إذا حصل كما يجب، أي بإحياء تراث حقيقي، فستكون من نتائجه التلقائية تقارب مع الشرق"[3]، لأنّ الحضارة التي لا تعترف بأي مبدأ أعلى هي حضارة لا تقوم في الواقع إلا على إنكار المبادئ ، وهي بهذا تتجرد من كل وسيلة للتفاهم المتبادل مع غيرها من الحضارات، لأن هذا التفاهم لكي يكون عميقاً وفعّالاً حقاً لابد أن يأتي من فوق[4].حيث يقول الله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:115].

الفرع الأول: تقليص الهوة بين الشرق والغرب

يبرر عبد الواحد يحي اختياره للتفاهم كحلّ لتقليص وتضييق الهوة بين الشرق والغرب، أو بمعنى آخر لحصول التقارب بينهما بقوله:"فنحن عندما نتحدث عن التقارب، فالمقصود هو التفاهم لا التنافس"[5]، فالتفاهم يكون على المستوى العرفاني الروحي، لا على المستوى المادي،

---

[1]– المصدر السابق، ص36.

[2]–عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص136.

[3]– عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص40.

[4]– المصدر نفسه، ص25.

[5]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص137.

لأنّ المادة بحكم طبيعتها ، هي مبدأ للتقسيم والانفصال وينتج عنها زيادة في تواتر الصدامات والصراعات وبالتالي، فإنّه لا يمكن، حسب عبد الواحد يحي تحقيق تفاهم في المجال الاقتصادي، ولا في الميدان السياسي لأنهما مرتبطان بالجانب المادي.

وعلى غرار الإسلام، الذي يتناسب عمل كل امرئ مع عقيدته وأخلاقه، وما يحفز الإنسان هو حب العمل وليس حب المال. المؤمن يتبع عقيدته وليس اقتصاده، وعلى قدر نية المرء، يكون قدر عمله. أما في النظم الصناعية فإن العامل لا ينطلق من هذه العلاقة العقدية ؛ بل يكون الهدف عند الجميع هو تكديس المال والثروة. وذلك أن المال هو الوسيلة التي تؤمن كل الاحتياجات، وتقاس بها قيم الاشياء[1].

الفرع الثاني: الاستفادة من التراث الروحاني الشرقي

إنّ حضارة الغرب الحديث، لم يعد فيها مكان للنشاط التأملي، لأنها أمور لا تُرى ولا تلمس، ولا تُحسب ولا توزن، ولا يمكن التحقق منها، فالتأمل يرتبط بالكيف، أما الفعل فمع الكم، يقول عبد الواحد يحي: "إنّ الغرب الحديث لا يمكنه استيعاب وجود أناس يفضّلون عملا أقل مكتفين بالقليل ليعيشوا مطمئنين سعداء؛ وحيث أنّه لا اعتبار إلاّ للكم ، كل ما لا تدركه الحواس لا يعتبر موجودا، فمن المسلّمات أنّ الشّخص الّذي لا يثابر على النشاط والحركة و لا ينتج شيئا ماديًّا، لا يمكن أن يكون سوى شخص "كسول"[2]. وقد تسربت مثل هذه الأفكار لعقول شعوب العالم الإسلامي، فنرى اليوم أن النكسات و الكمون الواقع فيه العالم الإسلامي ككل، نبررها بهيمنة النشاط التأملي، والتقدم والتطور والتكنولوجيا في الغرب يرجع فضله إلى غلبة وسيطرة النشاط الظاهري (الفعل). على غرار عبد الواحد يحي الذي يجعل التأمل في أعلى مراتب الوجود، "لأن الانشغال الدائم بالتقدم المادي يلتهم شيئا فشيئا جميع ملكات الإنسان، فتتفاقم تدريجيا ضعف البصيرة وضمور النزعة الروحية[3]" ، فتنزل به إلى الدرك الأسفل، لأنه كلما ازداد استغلالهم للمادة ، كلما زادت عبوديتهم لها، فينقادون إلى هيجان متزايد بلا ضابط ولا هدف، أي إلى التشتت في التكاثر الصرف ، الذي ينتهي بالتلاشي التام[4].

1- مرتضى آويني، التنمية وأسس الحضارة الغربية: التقدم الاقتصادي أم التكامل الثقافي، ص110.

2- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص103.

3- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص108.

4- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص24.

لذلك، وعن طريق الجمع بين التأمل والفعل، يمكن إعادة إنتاج المعنى الروحاني، وإعادة بعث التراث الغربي المفقود، تحت هيمنة المادية الكمية، لأن التأمل يرتبط بالمبادئ، أما الفعل فيرتبط بالمتغيرات، والتأمل موصول بالأعلى، أما الفعل فموصول بالأسفل، بالعالم الأرضي. وفي هذا السياق يقول عبد الواحد يحي "المذاهب الشرقية، وكذلك المذاهب الغربية القديمة ، كلها مجمعة على تأكيد أنّ التأمل الروحي أسمى من النشاط الظاهري (الفعل)، مثلما الثابت على المتغير"[1]. إنّ الفعل، ليس إلا تغييرا لحظيا طارئا على الكائن، لا يمكن أن يتضمن في ذاته مبدأه وسبب وجوده ، وإذا لم يكن مستندا إلى مبدأ فهو مجرد وهم، وهذا المبدأ لا يمكن أن يوجد إلاّ في التأمل"[2]. لذلك يعزو عبد الواحد يحي الفوضى والتشتت إلى انحياز حضارة الغرب الحديث للفعل ضدّ التأمل، بل إلى إبعاده نهائيًّا.

إن الحل الذي قدمه عبد الواحد يحي لإنقاذ الحضارة الغربية هو العودة إلى الحضارة الشرقية والاستفادة والاستلهام منها، يقول:"من الضروري لاستعادة الفهم المفقود، الاتصال بالروح التراثي الحيّ لإيقاظ ما هو مستغرق في نوع من السبات. إنّ هذا هو بالخصوص ما يحتاجه الغرب كمعونة من الشرق، إن أراد العودة إلى الوعي بتراثه الخاص به"[3].

فالعودة إلى الشرق إذن، هي الأمل لإعادة بعث التراث الروحي الغربي، الذي أُفتُقدلأنه لا لأحد أن ينكر أن للمسلمين فضلا على أوروبا ، فبفضلهم انتقلت حضارات الصين والهند والفرس، وأيضا علوم الشرق إلى أوروبا. ففي الإسلام يوجد التوازن والسلام النفسي، لأنه مبني على الاعتدال في الحياة ،حيث يقول تعالى:﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾[4][القصص:77].

وكما يقول مالك بن نبي، فإن لكل حضارة نمطها وأسلوبها وخيارها. وخيار العالم الغربي ذي الأصول الرومانية الوثنية قد جنح بصره إلى ما حوله مما يحيط به: نحو الأشياء ،أي حول

[1]- المصدر السابق، ص47.

[2]- المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3]- المصدر السابق، ص76.

[4]- أحمد علي الملاّ، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية،،ط2، سوريا ، دمشق، دار الفكر، 1981م، ص ص215-216.

مفهوم الكم. بينما الحضارة الإسلامية عقيدة التوحيد المتصلة بالوحي الإلهي سبح خيارها نحو التطلع الغيبي وما وراء الطبيعة: نحو الأفكار، لكن يجب أن تكون فعّالة[1].

فالحضارة الروحية هي حضارةٌ سوية لأنّها تركن إلى ما هو ثابت. أما الحضارة المادية فهي حضارة فوضوية، لأنّها تتركّز على ما هو عارض وطارئ، لذلك عندما يتغلب العرفان الروحي على الميدان المادي يحصل انتصار للحضارة، وإن حدث العكس فسيكون لا محالة، في منظور عبد الواحد يحي، إخفاقا لحضارة وهذا ما نستشفّه من قوله" :فالحضارة المنحطّة روحيا، رغم تفوقها بلا منازع في الجانب المادي ستكون خاسرة في المحصلة، مهما كانت المظاهر الخارجية، وهذه هي حالة الحضارة الغربية إذا ما قورنت بالحضارات الشرقية"[2].

لقد حاول عبد الواحد يحي ، على الرغم من كل تلك الفوضى، أن يبحث عن منفذ لتلافي انهيار الحضارة الغربية، وكلّه أملٌ في إعادة الحضارة الغربية إلى المسار السوي. وما دامت الأزمة عنده هي روحية في الأساس، فإن الحل والعلاج سيكون من طراز روحي أيضا، والذي افتقدته الحضارة الغربية هي الروحانيات، لذلك ما عليها إلاّ أن تقوم بإعادة بعثها من جديد، وهذا لا يكون إلاّ بتشكيل الصفوة التي تتحقق بهذه الروح ومشربها، بغية تصحيح العقلية الحديثة والحد من الهيمنة المادية للكم.

المطلب الثالث: إعادة بعث الصفوة الروحانية في الحضارة الغربية

إنّ المادية المرهقة للفطرة الإنسانية هي أكثر الأسس التي تعرضت للنقد في النظرية الغربية ، لأنها تمثل حجر الزاوية بالنسبة لأزمة الحضارة المعاصرة. لدرجة أن قيل " إن الجذور العميقة للقلق موجودة في البنية النفسية للفرد، كل فرد من أفراد هذه المجتمعات وأكبر مشكلة في الحياة المعاصرة هي أن الحياة فقدت معناها، فالمشاعر الدينية ، وفكرة الإله التي ترمز لوحدة الكون تنخرها المعلومات العلمية، وسخافة الأحداث العالمية الباطلة، فأصبح الإنسان بدونها كسفينة بلا مرساة لا قرار له"[3]. و لمد يد العون وانتشال الإنسان من هذه الفوضى لابد من إعادة تشكيل للصفوة. فماذا يقصد عبد الواحد يحي بالصفوة؟ وما هو الدور المنوط بها عنده؟

[1]– مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركه و أحمد شعبو، ص7.

[2]– عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص48.

[3]– عبد القادر طاش، أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت)، ص11.

إن "الصفوة"، عند عبد الواحد يحي، هي النخبة التي سواء حصّلت تعليما متخصصا في مجال معين كالعلماء والفلاسفة، أم لم تتلق تعليما متخصصا، لكنهم يحوزون على العقلية والتحقق بالمعرفة الروحية[1]. أي أنّ الصفوة، التي يقصدها عبد الواحد يحي، هي التي قد تلقت إعدادا روحيا خالصا يحميها من أي انحراف عندما تخوض في أي علم، لذلك فإنها محصنة بأساس ثابت هو المبادئ التي تحوطها وتصونها من الضياع والتشتّت. يقول عبد الواحد يحي:" ونعني بها صفوة ذات تحقق عرفاني روحاني (مهتد بنور البصيرة الروحانية كما هو عند أولياء الرحمان)، إذ أن كل التمايزات الخارجية الظاهرية ليست لها أي أهمية"[2]. كما يؤكد: "الصفوة الحائزين على القدرات العقلية المطلوبة التي لم تزل في كمونها ولم تتطور بعد"[3].

ولتشكيل الصفوة لا بد من دراسة المذاهب الشرقية لكي يكتسبوا ويطوروا في أنفسهم العرفان الخالص الغير موجود في الغرب[4]، لأنهم حلقة الوصل بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى. ولا بدّ من دعم الشرقيين للصفوة العرفانية في القيام بمهمتها[5]. ولكن يشترط عبد الواحد يحي أن تكون المبادرة غربية عند نقطة الانطلاق، فبذلك ستصبح حضارة غربية سوية، وتكون لها مكانتها المشروعة بين الحضارات[6].

يمكن القول، كما يرى عبد الواحد يحي :"أن النخبة إذا تكونت قبل فوات الأوان أن تعد التغيّر ليتم في أحسن حال ويتضاءل الاضطراب الذي يصحبه ضرورة إلى أدنى صوره، وإسهامها في الحفاظ على ما تبقى في العالم الحالي، ويستخدم في بناء العالم القادم "[7]. لابد من إعداد خاص لاستيعاب العلوم التراثية لمن لم ينشأ في حضارة لم تنتج هذه العلوم[8]، "من خلال رجوع الغرب إلى حضارة تراثية في مبادئها وفي جملة مؤسساتها. وينبغي أن يتم الرجوع وفق الترتيب

[1]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص141.
[2]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص39.
[3]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص165.
[4]- المصدر نفسه، ص196.
[5]- المصدر نفسه، ص179.
[6]- المصدر نفسه، ص185.
[7]- رينيه جينو (عبد الواحد يحي)، أزمة العالم الحديث، تر: أسامة شفيع السيد ، ص ص225-226.
[8]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص160.

السوي. انطلاقا من المبادئ واتجاها نحو الاستتباعات، وبالتنزل تدريجيا إلى التطبيقات العارضة أكثر فأكثر ؛ ولا يمكن تحقيق هذا إلا بالاستعانة بالمعطيات الشرقية ، وفي نفس الوقت توظيف ما تبقى من عناصر تراثية في الغرب نفسه"[1].

وقد أشاد عبد الواحد يحي بالعقيدة الإسلامية باعتبارها تراث روحي شرقي، حيث يقول: "ربما كانت العقيدة الإسلامية من بين العقائد التراثية الموحاة، هي العقيدة التي يظهر فيها أوضح فرقان بين قسمين متكاملين، يمكن تسميتهما بالظاهر والباطن. إما تبعا للمصطلح العربي: الشريعة، أي حرفيا الطريق الواسع الذي يشترك فيه الجميع، والحقيقة الباطنية، المخصوصة بالصفوة"[2].

إن الدور المنوط بالصفوة والمأمول تحقيقه، هو إنقاذ الحضارة الغربية من هاوية السقوط، وإعادة الإحياء الروحي للغرب الحديث ببعث التراث العرفاني لترسي ما هو نهائي محلّ ما هو مؤقت، وتحول كل فوضى إلى نظام.

على الرغم من كل ما أصاب الحضارة الغربية، لا زال الأمل في إنقاذها ممكنا، في رأي عبد الواحد يحي، ويكون ذلك بفهم التراتب الوجودي بعقل مستبصر حتى يتم النفاذ إلى الحقيقة العليا، والتي هي الوحيدة التي، إذا بلغتها الحضارة الغربية عن طريق إعادة الاعتبار للصفوة العرفانية الروحية، تستطيع تلافي السقوط والتلاشي في العدم.

إن العمل بمقتضى المعطيات الربانية يؤدي إلى أسرع الحلول للمشكلات الحالية، وإلى شرح الحالة الراهنة للبشرية، وكذلك الحكم بميزان الحقيقة لا بميزان الأعراف والأهواء على جميع مكونات الحضارة الغربية، ومن دون المعرفة الروحانية الخالصة يستحيل إنجاز أي شيء صحيح حقا، حيث يكون محض اضطراب سطحي تافه، فحقيقة وجود العالم الحديث كوجود الجهل وكلّ تقييد سلبي صرف، ما هو إلا إنكار للحقائق الإلهية وما وراء الإنسانية[3].

[1]- المصدر السابق، ص182.

[2]- عبد الواحد يحي، التصوف الإسلامي المقارن، ص19.

[3]- رينيه جينو(عبد الواحد يحي)، أزمة العالم الحديث، تر: أسامة شفيع السيد، ص ص 224-225.

إن الحضارة الغربية المعاصرة سجنت أهلها في المادية القاتلة والشخصانية الوهمية والفردانية المغرورة، لأن أصولها بترت فانفصلت عن الحقيقة الثابتة المسقية بمياه التعاليم الربانية و شرائع دين الله تعالى. فقد انحرفت الحضارة الغربية وتعارضت مع جلّ الحضارات الأصيلة، لذلك ورغم نجاح الحضارة الغربية المعاصرة نجاحاً باهراً في مجال التقنيات المادية إلا أنها لا تنعت بالتفوق لأنها لم تزد غالبية الناس إلا شقاء باطنيا وبؤسا سلوكيا بابتعادهم عن خالقهم، فهي حضارة مبتورة. لكن عبد الواحد يحيى لم يفقد الأمل بأن هناك إمكانية لتصحيح الوضع المنذر بالخطر، وذلك بالعودة إلى منابع التراث الديني العرفاني التي تزال حية إلى اليوم[1]. يقول: "إن العودة إلى التراث الروحي الموصول بالوحي والتشريع الإلهي هو بمثابة العودة الحقيقية إلى المبادئ؛ فالحضارة الغربية هي حضارة فوضوية، والفوضى هي نفي لسلم الترتيب السوي ، ولا تتضمن أي شيء إيجابي أي أنها: حضارة فاقدة للروح الموصولة بالله تعالى بواسطة الوحي والتشريع الذي أنزله على رسله عليهم السلام"[2].

لكن، مادامت ثمة سلطة روحية مؤسسة بكيفية نظامية سوية، حتى إن كانت مجهولة عند جميع الناس، حتى وإن انحصرت إلى حد أن صارت كالظل لما كانت عليه في حقيقتها، فإن أحسن نصيب يبقى على الدوام نصيبيها ولا يمكن نزعه منها، ومن المؤكد وعلى الدوام، مهما كانت الظواهر، فإن لهذه السلطة تكون الكلمة الاخيرة[3].

ومن خلال ما سبق بقي عبد الواحد يحي متفائلا على غرار غيره من النقاد أمثال "أسوالد إشبنغلر" في التمكن من انتشال الحضارة الغربية وتلافي السقوط والخروج من الأزمة ولو بعد عدة أحقاب، حيث يقول: "فلا داعي إذا لليأس، وحتى لو لم يبق أيّ أمل لبلوغ نتيجة محسوسة قبل فناء العالم الحديث بفعل كارثة ما، فليس هذا سببا مقبولا لعدم القيام بعمل تمتدّ آثاره الإيجابية إلى ما بعد الحقبة الراهنة. وليعلم الذين قد يميلون إلى الشعور بالإحباط أنّ لا شيء يحصل القيام به في هذا المستوى يمكن أن يضيع، وأنّ الفوضى والباطل والظلام أن تكون لهم الغلبة إلاّ ظاهريا وخلال فترة مؤقتة محدودة جدّا، ولا شيء في النهاية أن يتغلّب على قدرة الحقّ"[4]. وهذا مصداقا

[1]- عبد الواحد يحي، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان ، ص 9.

[2]- عبد الواحد يحي، شرق وغرب، ص157.

[3]- عبد الواحد يحي، السلطة الروحية والحكم الزمني ، ص ص 98-99.

[4]- عبد الواحد يحي، أزمة العالم الحديث، ص128.

لقوله صل الله عليه وسلم: "**إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةً فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها.**"[1]وهذه الرؤية والتفاؤل ليس غريبا على من تشرّب ونهل من منابع التراث الإسلامي الأصيل، لأن عبد الواحد يحي يرمي من وراء هذا النقد أن يعيد للشرقيين قيمتهم، وأنهم منبع النور والهداية ، ومشرق الوحي والإلهام[2]. وبهذا فهو دعوة إلى الإسلام، وتصديقا لقوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[العنكبوت:69].

[1]- البخاري، الأدب المفرد، باب اصطناع المال، حديث رقم479. تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، ط2، (د.ن)، دار الصديق 2000م، ص163.

[2]- عبد الحليم محمود، قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ص304.

خاتمة

الحمد الله الذي أعاننا على إتمام هذه البحث، ونرجوا أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجه الله الكريم، وأن يكون خطوة في السير على المنهج العلمي الصحيح. وعلى ضوء ما سبق عرضه وما تناولناه في طيات هذا البحث المتواضع وما حوته مباحثه حاولنا قدر المستطاع الإجابة عن الإشكالية الرئيسية، ومختلف التساؤلات المرتبطة بها. فعموما يمكن القول في إطار الإجابة عن الإشكالية أن عبد الواحد يحي شرّح بأسلوب علمي متفرّد أسس ومرتكزات الحضارة الغربية بسبب تغليبها الجانب المادي على العرفاني وإقصاء الأخير. ولكنه على غرار الآخرين قدم الحلول للخروج من الأزمة.

وفي إطار هذه الإجابة العامة عن الإشكالية نرصد جملة من النتائج كالآتي:

1- مفهوم الكمّ في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي يتعلق أساساً بالجانب المادّي المحض، منفصلاً ومستقلا تماما عن الجانب الروحاني.

2- أنّ عبد الواحد يحي في إطار اهتمامه بمصير الحضارة الغربية، وسعيا منه لتصحيح مسارها المنحرف الذي تسير عليه، رصد عدّة أسباب كانت وراء هذا التنكيس الذي سدل ظلمته عليها فعمّ التشتت وسادت الفوضى في جميع مناحي الحياة.

3- إن الحضارة الغربية، التي ظلّت تفاخر بتطوّرها، ستسقط في حبال أوهامها التي نسجتها، خاصة بعد وهم أيقونتها المسمى بـ"التقدم العلمي"، الذي يمثل عند عبد الواحد يحي تأكيدا على دخول الغرب في مرحلة وعصر "الكالى-يوغا"، بالتعبير الهندوسي، أي عصر "الظلمة"، حيث يتم تنكيس الروحانية وإفقاد الصلة بالسماء. فبدل الصعود نحو القمة الذي تظن هذه الحضارة أنها قد ترقت إليه، أصبحت تتهاوي نحو الأسفل بسبب هيمنة الكم والمادية المفرطة التي سيطرت عليها وتحكمت بها وجذبتها نحو الأسفل.

4- الحضارة الغربية من منظور عبد الواحد يحي يمكنها الخروج من الأزمة الراهنة والعودة إلى الطريق السوي عبر:

أ- إزاحة التحيّز و كل الأحكام المسبقة التي تجذّرت فيها اتجاه الشرق والتراث الروحاني.

ب- دراسة الفكر الشرقي بالكيفية الصحيحة، أي دراسة حقيقية وعميقة وليست سطحية على شاكلة دراسات المستشرقين الغربيين.

ج- بعث العقلية المستبصرة الحقيقية والعرفان الروحي الأصيل الذي فقده الغرب.

5- يخلص عبد الواحد يحي إلى أن الانحراف الذي وقعت فيه الحضارة الغربية يمكن إصلاحه وإعادة الحضارة الغربية إلى المسار السوي، وإنقاذها من كارثة السقوط. وهكذا يبقى موقفه من الحضارة الغربية موقف أمل، فهو لا يرفض الغرب كغرب لأنه هو في حد ذاته غربي، بل يهاجم العقلية الغربية الحديثة التي أقصت العرفان الروحي تماما من حياتها. وهذا ما يميّز موقفه من الحضارة الغربية، ويكشف في الجانب الآخر في شخصه عن عارف بالله تعالى من الطراز العالي، وعن عقلية و روح مشبّعة بالروحانيات التراثية الأصيلة.

وفي آخر هذا البحث المتواضع، نسأل الله العظيم أن يغفر لنا، وأن يتقبل عملنا، والحمد الله رب العالمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس المصطلحات
- فهرس قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات
- ملاحق مصورة

فهرس الآيات القرآنيـة

السـورة	الآيـة	رقمـها	الصفحـة
البقـرة	﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾	114	54
الحجـر	﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذّكر وإِنَّا لَهُ لَحافِظُون﴾	09	08
النحـل	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	43	46
القصص	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾	77	56
العنكبوت	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	69	61

فهـــــــرس الأحـــــاديث النبـــــــوية

الحديـــــث أو الأثـــــر	الصفحة
"إنْ قامَتِ السَّاعةُ وفي يدِ أحدِكُم فَسيلةً فإنِ استَطاعَ أن لا تَقومَ حتَّى يغرِسَها فلْيغرِسْها."	61

فـهــرس الأعـــلام

العـلم	الصفحة
ابن خلدون، عبد الرحمان	03
آغيلي، إيون غوستاف	07
إقبال، محمد	52
ألبير بيويو، الغراف	07
بيجوفيتش، علي عزت	31
بيرنارد، كلود	30
جارودي، روجيه	38، 47
دوغين، ألكسندر	48
ديكارت، رينيه	23
ديورانت، ول	03
شامبرييتو، ليون	07
شبنغلر، أوزفالد	03
طاش، عبد القادر	57
بن عربي، محيي الدين	08
عليش، عبد الرحمن	07
فييرابند، بول	37
محمود، عبد الحليم	05، 07
المسيري، عبد الوهاب	33,30، 45,42
مفتاح، عبد الباقي	09، 10

مور، جورج إدوارد	06
موريسون، كريسي	30
بن نبي ، مالك	04، 56
الندوي، أبو الحسن	52

فهـرس المصطلحـات

المصطلـــح	الصفحـــــة
الأبيقوريـــة	36
الأخلاقويـــة	40
الإيديولوجيات العنصرية	34
بلدة بلوا	5
التحيز الكلاسيكي	19
الداروينيـــة	34
الرواقيـــة	36
السلطة الروحية	46
العرفان الروحي	25
العقلية المستبصرة	29
العلمويـــة	23
المذاهب التراثية	32
النظام التراتبي	32
النيتشويـــة	34

فهرس قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع ، الطبعة الثانية 1425هـ.

ثانيا: المصادر:

-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (محمد بن إسماعيل ت122هـ)، الأدب المفرد ، باب اصطناع المال، تخريج وتعليق محمد ناصر الدين الألباني، ط2 ،(د.ن)،دار الصديق، 2000م.

– ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة،ط1، دمشق، دار البلخي، 2004 م.

– عبد الواحد يحي، (رنيه غينون)

– أزمة العالم الحديث، تر: أسامة شفيع السيد،ط1، بيروت–لبنان، مركز إنماء للبحوث والدراسات،2019م.

– أزمة العالم الحديث، تر: عبد الباقي مفتاح، ط1، إربد–الأردن، عالم الكتب الحديث،2017م.

– التصوف الإسلامي المقارن، تحق : عبد الباقي مفتاح، ط2، إربد– الأردن ، عالم الكتب الحديث ، 2013م

– السلطة الروحية والحكم الزمني، تر: عبد الباقي مفتاح، ط 1،إربد– الأردن، عالم الكتب الحديث،2018م.

– شرق وغرب، تر: عبد الباقي مفتاح، ط1، إربد– الأردن، عالم الكتب الحديث، 2016م.

– مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية(والهندوسية بوجه خاص)، تر: عمر الفاروق عمر، ط1، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، 2003م.

– هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان، تر: عبد الباقي مفتاح، ط1،إربد– الأردن، عالم الكتب الحديث ، 2013م.

– **الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين**، القاموس المحيط، تحق: محمد نعيم العرسوقي، ط 8، دمشق، مؤسسة الرسالة، 2005م.

– **ابن منظور**، لسان العرب، ط 3، بيروت،دار صادر، 1414 هـ،ج4.

ثالثـــا: المراجـــع

–**آويني، مرتضى**، التنمية وأسس الحضارة الغربية: التقدم الاقتصادي أم التكامل الثقافي، تر: مسعود فكري، ط1، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،2016م.

–**جارودي، روجيه**

– حفارو القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، تر: عزة صبحي، ط3، القاهرة، دار الشروق، 2002م.

– في سبيل حوار الحضارات، تر: عادل العوّا، ، ط4، لبنان ، بيروت، عويدات للنشر والطباعة، 1999م.

–**الجندي، أنور**، الفكر الغربي دراسة نقدية، ط 1، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1987م.

–**ديورانت، ول وايريل**، قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود،(د.ط)، بيروت، دار الجيل،1982م،ج1.

–**سعيد، جلال الدين**، معجم المصطلحات و الشواهد الفلسفية، (د.ط)، تونس، دار الجنوب للنشر ،2004م.

–**شبنغلر، اسوالد**، تدهور الحضارة الغربية،تر: أحمد الشيباني، (د.ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة،(د.ت)،ج1.

– **طاش، عبد القادر**، أزمة الحضارة الغربية والبديل الإسلامي، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).

–**عبدو، خالد محمد**، من رموز العلم المقدس "رينيه جينو" René Guénon ، الشيخ عبد الواحد يحي في المصادر العربية الحديثة، (د.ط)، (د.ن)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، (د.ت).

–**فييرابند، بول**، طغيان العلم: ما العلم ؟ وما حدوده وأدواته؟ تر: مركز دلائل ، ط1 ، الرياض –المملكة العربية السعودية، (د.ن)،1438هـ .

–كمال سليم نهى، نقد الحضارة الغربية عند مفكري الغرب المسلمين، علي عزت بيجوفيتش نموذجًا ، دكتوراه في مقارن الأديان، جامعة القاهرة، (د.ت).

–مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مصر، مكتبة نور ،2004م.

–محمود، عبد الحليم

– قضية التصوف المدرسة الشاذلية، ط03، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

– أوربا والإسلام،ط04 ، القاهرة، دار المعارف، (د.ت).

–المسيري، عبدالوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط2، دمشق، دار الفكر،2007م.

–مفتاح، عبد الباقي، شاهد الحقيقة، رينيه جينو، عبر نصوص إسلامية ،ط1 ، الجزائر، المكتبة الفلسفية الصوفية،1441 هـ –2019م.

– الملاّ، أحمد علي، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، ط2، سوريا–دمشق، (د.ت).

–موريسون، كريسي، العلم يدعو للإيمان، تر: محمود صالح الفلكي، ط 1، دمشق–سوريا، دار وحي القلم، 2013م.

–بن نبي، مالك

– آفاق جزائرية، ط2،(د.ن)،مكتبة عمار،1981م.

– مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، تر: بسام بركهو أحمد شعبو، ط1، (د.ن)، دار الفكر المعاصر،1988م.

– الندوي، أبو الحسن، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، ط1،جدة،دار المجتمع،1987م.

– الوائلي، عامر عبد زيد، الميلاني، هاشم، نحنُ والغرب، مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي، ط1، (د.ن)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،2017م.

رابعـــــا: الرسائـــل الجامعيـــــة

– التريكي، مريم علي إمحمد، الشيخ عبد الواحد يحي وتصوفه، رسالة دكتوراه في الآداب ،تخصص فلسفة، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم الفلسفة، 1438هـ–2018م.

– معط الله، فتيحة، الأبعاد الحضارية في فكر عبد الحميد بن باديس الإصلاحي، رسالة ماستر، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان،الجزائر،2011م–2012م.

خامســا: الجرائد والمجلات

- جريدة العرب الاقتصادية الدولية، السعودية، نشرت في:2014/11/26.

سادســا: مواقع الانترنت

-خياطة، نهاد، "رينيه غينون والبحث عن المنقول الحقيقي" ،
http://www.maaber.org/issue_february06/spiritual_traditions2.htm2006،2020/02/22:تاريخ الاطلاع.

- شريح ، محمد عادل،"رينيه غينون والتقليدية التكاملية"
تاريخ الاطلاع:2020/02/22.http://almultaka.org/site.php?id=362
تاريخ النشر:2005/04/25

- قيراط، عبد الواحد ،" المدرسة التحليلية جورج ادوارد"، مدارس فلسفية غربية،ج2،نشرت بتاريخ:2011/10/11 على الساعة:13:02
الموقع الإلكتروني: https://www .alhiwar.net ،تاريخ الاطلاع: 2020/02/22 .
-https://aleqt.com

فهـــرس الموضوعـــات

الموضوع	الصفحة
الإهـــــــــداء	أ
شكـــــر وعرفان	ب
ملخص المذكرة بالعربية	ج
ملخص المذكرة بالإنجليزية	د
مقدمـــــــــة	هـ-ي
المبحث الأول: عبد الواحد يحيى والحضارة الغربية	1
المطلب الأول: مفهوم الحضارة	2
الفرع الأول: تعريف الحضارة لغةً	2
الفرع الثاني: تعريف الحضارة اصطلاحاً	3
الفرع الثالث: الحضارة الغربية في مفهوم عبد الواحد يحي	4
المطلب الثاني:عبد الواحد يحي، ترجمة موجزة	5
الفرع الأول: مولده واسمه	5
الفرع الثاني: نشأته	6
الفرع الثالث: إسلامه	7
الفرع الرابع: تجربته الروحية وتصوفه	8
الفرع الخامس: وفاتـــــــه	9
الفرع السادس : مؤلفاتـــــه	10
المطلب الثالث: مفهوم "الكمّ" في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحي	13
الفرع الأول: تعريف الكمّ لغةً	13
الفرع الثاني: تعريف الكمّ اصطلاحاً	14
المبحـث الثانـــي: وهم عالمية الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى	16

المطلب الأول:تحيّز الحضارة الغربية وأحكامها المسبقة	17
الفرع الأول: تحيّز الحضارة الغربية	17
الفرع الثاني: الأحكام المسبقة للحضارة الغربية	18
المطلب الثاني: أحادية الحضارة الغربية	18
الفرع الأول: وهم التقدم	19
الفرع الثاني: انعدام المعنى والمبْدَأ	22
المطلب الثالث: النزعة العلموية المادية و القصور العرفاني للحضارة الغربية.	23
المبحث الثالث: رؤية عبد الواحد يحيى إلى هيمنة المنظور المادّي – الكمِّي– في الحضارة الغربية.	27
المطلب الأول : نقد أيقونة الحضارة الغربية: "العلم المادي".	28
الفرع الأول: العلم الغربي الحديث "دراية جاهلة"	28
الفرع الثاني: تشتت العلم الغربي.	31
الفرع الثالث: نسبية الحقائق العلمية	32
المطلب الثاني: نقد الفلسفة الغربية	35
المطلب الثالث: مظاهر هيمنة الكم في الحضارة الغربية	38
الفرع الأول: هيمنة الكم والنزعة الفردانية	39
الفرع الثاني: هيمنة الكم ووهم المساواة والديمقراطية	44
المبحث الرابع: إعادة إحياء التراث الروحي في الحضارة الغربية عند عبد الواحد يحيى	50
المطلب الأول:إصلاح التراتبية الوجودية للحضارة الغربية	51
المطلب الثاني:إعادة التواصل بين الشرق والغرب و الاستفادة من التراث الروحاني الشرقي	54
الفرع الأول:تقليص الهوَّة بين الشرق والغرب	54
الفرع الثاني:الاستفادة من التراث الروحاني الشرقي	55
المطلب الثالث: إعادة بعث الصفوة الروحانية في الحضارة الغربية	57

خاتمـــــــــــــــــة	64-62
الفهـــــــــــــــــارس العامة	65
فهرس الآيات القرآنية	66
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	67
فهرس الأعلام	69-68
فهرس المصطلحات	70
فهرس قائمة المصادر والمراجع	74-71
فهرس الموضوعات	77-75
ملاحق مصورة	79-78

العارف بالله الشيخ عبد الواحد يحي في شبابه

الشيخ عبد الواحد يحي في مكتبه بحي الدّقي

الشيخ عبد الواحد يحي مع ابنتيه ليلى وخديجة

العارف بالله عبد الواحد يحي بالزّي الأزهري

تم بحمد الله